سلسلة شروحات وتعليقات سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ (٦)

شرح

العقيدة الواسطية

لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ

شرح

سماحة الشيخ العلامة

عبدالعزيز بن عبدالله بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ

إعداد

مؤسسة عبدالعزيز بن باز الخيرية

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمد للَّهِ رَبِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على نبيِّنا محمَّد وعلى آله وصحبه، ومن سار على نهجه إلى يوم الدِّين أمَّا بعد:

فَيطيب «لمؤسسة الشيخ عبد العزيز بن باز الخيرية» أن تضع بين يدي القارئ الكريم «شرح سماحة الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ لرسالة العقيدة الواسطية»، ضمن إصداراتها لشروح وتعليقات سماحة الشَّيخ على كتب أهل العلم.

(العقيدة الواسطية) كتبها شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ لأهل واسط بيَّن لهم فِيها عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة فِي باب الإيمان عامةً، وركَّز فِيها على الإيمان باللَّهِ وأسمائه وصفاته، ولأهميَّة هذه الرِّسالة نالتْ العناية التَّامة، والاهتمام البالغ من العلماء قديمًا وحديثًا؛ فعكفوا على تدريسها وشرحها، ومنهم: سماحة شيخنا الشَّيخ عبدالعزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ فقد شرحها شرحًا نفِيسًا متوسطًا، ليس فِيه تطويلٌ مُمِلٌ، ولا إيجازٌ مخلٌ، بألفاظٍ قليلةٍ، وعباراتٍ موجزةٍ واضحةٍ، ينتفع بها طالب الحقِّ فِي معرفة معتقد أهل السُّنَّة والجماعة فِي باب الإيمان باللَّهِ وأسمائه وصفاته، والإيمان باليوم الآخر، وما فيه من ثواب وعقاب؛ ولذا رأت «مؤسسة الشيخ عبد العزيز بن باز

الخيرية» إخراج شرح سماحة الشَّيخ فِي كتاب مطبوع؛ ليعم نفعه وخيره الأمَّة.

علمًا بأنَّ هذا الشَّرح هو تفريغ من تسجيل صوتي لسماحته رَحِمَهُ اللَّهُ، وقد اعتنى به فضيلة الشَّيخ: علي بن صالح بن عبد الهادي المرِّي - حفظه اللَّه -، وراجعه فضيلة الشَّيخ الدكتور: عبد العزيز بن محمَّد الوهيبي رَحِمَهُ اللَّهُ، نسأل اللَّه أن يكتب لهما الأجر والمثوبة، ثم كان إعادة العمل عليه وإعداده للطبعة الثانية.

نسأل اللَّه أن يجزي كلّ من تسبَّب فِي إخراج هذه المادة، وكلَّ من ساهم في ذلك من طلاب العلم والباحثين؛ أن يجزيهم اللّه خير الجزاء، كما نسأله تعالى أن يأجر كلّ من ساهم في طبعه ونشره، وأن يجعل هذا الشَّرح من العلم النَّافع الذي يجري أجره على سماحة شيخنا ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ، كما نسأله سبحانه أن يجمعنا به فِي الفردوس الأعلى، إنَّهُ وليُّ ذلك والقادر عليه.

وصلَّى اللَّه على نبيِّنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

مؤسسة الشيخ
عبد العزيز بن باز الخيرية
للتواصل مع المؤسسة على العنوان التالي:
الإيميل: info@binbazfoundation.sa
هاتف: ٠١١٤٣٥٤٤٤٤

ترجمة موجزة للشارح رَحِمَهُ اللَّهُ(١)

اسمه ونسبه وكنيته ولقبه:

اسمه: هو سماحة الإمام المجتهد، بقية السلف، ومفتي المسلمين في زمانه العلَّامة الشيخ: عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمٰن بن محمد بن عبد الله بن باز.

كنيته: أبو عبد الله، وهو أكبر أولاده.

لقبه المشهور به: ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ.

مولده ونشأته وأسرته:

ولد في مدينة الرياض في اليوم الثاني عشر من شهر ذي الحجة من عام ثلاثين وثلاث مئة وألف من الهجرة النبوية (١٢/ ١٢/ ١٣٣٠هـ) وبالرياض نشأ وشبَّ وكبر، ولم يخرج منها إلا ناويًا الحج أو العمرة، أو العمل في كل من الخرج، والمدينة، والطائف.

---

(١) ينظر ترجمته في: مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لسماحته (١/ ٩ ـ ١٢) من جمع وترتيب د. محمَّد بن سعد الشويعر، والإنجاز في ترجمة الإمام عبد العزيز بن باز للشيخ عبد الرحمن بن يوسف الرحمة (ص٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٤، ٤٥، ٣٧٧) وكتاب جوانب من سيرة الإمام عبد العزيز بن باز، رواية الشيخ محمد الموسى، إعداد: د. محمد بن إبراهيم الحمد (٣٣) والإبريزية في التسعين البازية، د. حمد بن إبراهيم الشتوي (١٨، ٢٠، ٢١، ٣٠، ١٨٩) وترجمة سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، من إعداد واعتناء: الشيخ عبد العزيز بن إبراهيم بن قاسم (١٣، ٢٣، ٢٦، ١٣٨) وغيرها.

وقد نشأ في بيت عامر بالصَّلاح وحبّ الخير، في حضن والدته، فقد توفي والده عام ثلاث وثلاثين وثلاث مئة وألف من الهجرة النبوية (١٣٣٣هـ) وكان عمره آنذاك دون الثالثة، فعاش يتيمًا في حجر أمه، التي أحسنت تربيته وتنشأته، مع شقيقه محمد، وأخيه من أمه إبراهيم، وأخته من أمه منيرة، وكلهم أكبر سنًّا من سماحته.

وكان لوالدته -رحمها اللَّه- التي توفيت عام (١٣٥٦هـ) دور بارز، وأثر بالغ في توجهه نحو العلم الشرعي، وطلبه له ومثابرته عليه، ففضلها عليه كبير، حيث اعتنت بتربيته وغرست فيه الصفات الحميدة، كما كانت البيئة التي عاش فيها بيئة علمية، فقد كان في مدينة الرياض كبار أئمة الدعوة السلفية في هذا العصر.

۞ حياته العلمية والعملية:

بدأ حياته العلمية: بالدراسة منذ الصغر فحفظ القرآن الكريم قبل البلوغ، على يد الشيخ عبد الله بن مفيريج رَحِمَهُ اللَّهُ، ثم تلقى العلوم الشرعية والعربية، على أيدي كثير من علماء الرياض، ومن أعلامهم:

١- الشيخ محمد بن عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب -رحمهم اللَّه-.

٢- الشيخ صالح بن عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب (قاضي الرياض) -رحمهم اللَّه-.

٣- الشيخ سعد بن حمد بن عتيق (قاضي الرياض) رَحِمَهُ اللَّهُ.

٤- الشيخ حمد بن فارس (وكيل بيت المال بالرياض) رَحِمَهُ اللَّهُ.

٥- الشيخ سعد وقاص البخاري (من علماء مكة المكرمة) رَحِمَهُ اللَّهُ

أخذ عنه علم التجويد في عام ١٣٥٥هـ، حيث كان يتردد على الشيخ سعد في دكانه مدة شهرين.

٦- سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبداللطيف آل الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ وقد لزم حلقاته صباحاً ومساءً، وحضر كل ما يقرأ عليه، ثم قرأ عليه جميع المواد التي درسها في الحديث والعقيدة، والفقه، والنحو، والفرائض، وقرأ عليه شيئاً كثيراً في التفسير، والتاريخ، والسيرة النبوية نحواً من عشر سنوات وتلقى عنه جميع العلوم الشرعية ابتداءً من سنة ١٣٤٧هـ إلى سنة ١٣٥٧هـ حيث رشح للقضاء من قبل سماحته[(١)].

أما تلاميذه: فأكثر من أن نحصرهم ونحصيهم في هذه الأسطر لكثرتهم وطول المدة حدود سبعين عامًا، فقد ذكر الشيخ عبد الرحمٰن الرحمة في ترجمة سماحته أكثر من (٤٧٤ طالبًا)[(٢)].

وأمَّا حياته العملية: فقد تولى عدة أعمال، **منها:** القضاء في منطقة الخرج بالدلم مدة أربعة عشر عامًا وأشهرًا، (١٣٥٧ - ١٣٧١هـ) **ومنها:** التدريس في المعهد العلمي في الرياض، ثم كلية الشريعة (١٣٧١- ١٣٨١هـ) درَّس الفقه والتوحيد والحديث، حدود تسع سنوات وبضعة أشهر، **ومنها:** العمل إداريًّا في التعليم، (١٣٨١ ـ ١٣٩٥هـ) نائبًا لرئيس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة حدود (١٠) أعوام، ثم رئيسًا لها حدود (٥) أعوام.

وفي (١٤/ ١٠/ ١٣٩٥هـ) صدر أمر ملكي بتعيينه في منصب

(١) ينظر: جوانب من سيرة الإمام عبدالعزيز بن باز (ص٣٣، ٣٤).
(٢) ينظر: الإنجاز في ترجمة سماحة الإمام عبد العزيز بن باز (ص٨٤ - ١٢٤).

الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية، والإفتاء والدعوة والإرشاد، حتى مطلع سنة (١٤١٤هـ).

وفي (٢٠/ ١/ ١٤١٤هـ) صدر أمر ملكي بتعيينه في منصب المفتي العام للمملكة، ورئيسًا لهيئة كبار العلماء، ورئيسًا لإدارة البحوث العلمية والإفتاء، وبقي في هذا المنصب إلى أن توفاه الله (٢٧/ ١/ ١٤٢٠هـ) رحمه الله رحمة واسعة.

وإلى جانب هذا العمل الوظيفي الرسمي كان سماحته عضوًا أو رئيسًا لكثير من المجالس العلمية الرسمية في المملكة، وفي العالم الإسلامي؛ كرابطة العالم الإسلامي، والمجمع الفقهي التابع لها، والمجمع الفقهي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي، وعضوية المجلس الأعلى للجامعة الإسلامية في المدينة، وعضوية الهيئة العليا للدعوة في المملكة، وغيرها، وما من منصب تقلّده إلا وكانت له فيه إبداعات وبصمات خالدة رَحِمَهُ اللَّهُ.

صفاته الخَلقية والخُلقية:

أمَّا صفاته الخَلقيَّة: فقد كان ربعة من الرجال ليس بالطويل ولا بالقصير، وإلى الطول أقرب، معتدل القوام متساوي الأعضاء، حنطي اللون، مستدير الوجه، ناتئ الجبهة، غاير العينين، أقنى الأنف قليلًا، خفيف الشارب قليل اللحية على العارضين كثة في الذقن، ويمتاز بالتوسط في عموم أعضاء جسمه.

أمَّا صفاته الخُلقية: فقد جبل اللهُ الشيخ على صفات نبيلة، وشمائل فريدة، وسجايا كريمة قلَّ أن تجتمع في شخص في عصرنا هذا، ولا يمكن حصرها وتعدادها خصلة، خصلة، فقد ذكر الشيخ

عبد الرحمن الرحمة في ترجمته لسماحة الشيخ تسعين صفة ومنقبة تميَّز بها سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ، وقد ذكر الشيخ محمد بن إبراهيم الحمد أبرز أربعين صفة خلقية لسماحته[(١)].

وقد قال عنه سماحة المفتي العام للمملكة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ: «**ضرب في كل ميدان من ميادين الخير بسهم، فسبحان من جمع له الخير من أطرافه، وبارك له في عمره وعمله..، وهذا من أمارات الخير له غفر الله له ورحمه**»[(٢)].

مؤلفاته وفتاواه ودروسه:

أمَّا مؤلفاته المطبوعة فكثيرة جدًّا[(٣)]: وأكثرها قد جمع في كتابه المشهور «**مجموع فتاوى ومقالات متنوعة**» الذي قام بجمعه وترتيبه معالي الشيخ الدكتور/ محمَّد بن سعد الشويعر رَحِمَهُ اللَّهُ في ثلاثين مجلدًا، وقد جمع فيه أكثر تراث سماحة الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ.

---

(١) ينظر: الإنجاز في ترجمة الإمام عبد العزيز بن باز للرحمة (٣٧، ٤٥ ـ ٦٠) وكتاب جوانب من سيرة الإمام عبد العزيز بن باز للحمد والموسى (٣٩ ـ ٤١).

(٢) اقتباس بتصرف من: تقديم سماحة المفتي العام للمملكة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن محمد آل الشيخ لكتاب فتاوى نور على الدرب لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز (١/ ٤) جمع وترتيب: د. محمد بن سعد الشويعر.

(٣) ذكر منها سماحته في «**مجموع فتاوى ومقالات متنوعة**» ثلاثة وعشرين مؤلفًا له (١/ ١١، ١٢) وزاد عليها تلميذه الشيخ عبد العزيز بن إبراهيم بن قاسم (٢٤ عنوانًا) في مقدمة كتاب «**التحفة الكريمة**» (ص٢٠ ـ ٢٦) كان قد أفرد لها محمد يوسف المجذوب كُتيبا صغيرًا، وقد طبع في حياة سماحة الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ، كما أفردها بمؤلَّف صالح بن راشد الهويمل بعنوان: «**الإيجاز في سيرة ومؤلفات ابن باز**».

كما حوِّلت تسجيلات برنامجه الإذاعي إلى كتاب بعنوان: «**فتاوى نور على الدرب**» وطبعته الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء في (٣٥) مجلداً.

كما أصدرت مؤسسة الشيخ عبد العزيز بن باز الخيرية، بعض شروح وتعليقات سماحته على بعض كتب أهل العلم منها: «**تعليق التبصير في معالم الدين**» لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ، وتعليق سماحته على «**مقدمة تفسير الحافظ ابن كثير مع تعليق على تفسيره لسورة الفاتحة**» وشرح «**عمدة الأحكام**» للحافظ عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي رَحِمَهُ اللَّهُ، وشرح كتاب«**الواسطية**» و«**العقيدة الحموية**» كلاهما لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ، وشرح كتاب «**كشف الشبهات**» وشرح كتاب «**القواعد الأربع**» وتعليقات على كتاب «**فضل الإسلام**» وشرح كتاب «**التوحيد**» وشرح كتاب «**الأصول الثلاثة**» جميع هذه الكتب الخمسة الأخيرة للشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ، وتعليقات سماحته على كتاب «**وظائف رمضان**» تلخيص ابن قاسم العاصمي رَحِمَهُ اللَّهُ، من لـ«طائف المعارف» لابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ، وغيرها.

كما أشرفت المؤسسة على ما صدر من بعض مخطوطات سماحته منها: ما اعتنى به تلميذه الشيخ عبد العزيز بن إبراهيم بن قاسم، كـ«**التحفة الكريمة في بيان كثير من الأحاديث الموضوعة والسقيمة**» و«**تحفة أهل العلم والإيمان بمختارات من الأحاديث الصحيحة والحسان**» و«**تحفة الإخوان بتراجم بعض الأعيان**» وغيرها.

وتعليقات سماحته على كتاب التقريب للحافظ ابن حجر، بعنوان: «**النكت على تقريب التهذيب**» بتحقيق: د. عبد الله بن

فوزان الفوزان، وكتاب «**الفوائد العلمية من الدروس البازية**» الذي جمعه معالي الشيخ الدكتور عبد السلام بن عبد الله السليمان، من دروس عامي (١٣٩٨، ١٣٩٩هـ).

۞ زوجاته وعقبه ووفاته:

تزوج رَحِمَهُ اللَّهُ أربع نسوة: أولى زوجاته تزوجها عام ١٣٥٤هـ وطلقها عام ١٣٥٦هـ ولم ينجب منها، **ثاني زوجاته** تزوجها عام ١٣٥٧هـ وهي أم أولاده الكبار: عبد الله، وعبد الرحمٰن، وثلاث بنات، **وثالث زوجاته هي:** ابنة عمه، مكثت عنده ستة أشهر، ثم طلقها، ولم تلد له، ذكرها تلميذه عبد العزيز بن إبراهيم بن قاسم، في ترجمته له نقلًا عن الشيخ عبد العزيز بن ناصر بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ، **ورابع زوجاته** تزوجها عام ١٣٨٦هـ وهي أم أولاده الصغار، أحمد، وخالد، وثلاث بنات، وبهذا يُعلم أن سماحته قد تزوج أربع نسوة أنجب من الاثنتين أربعة أبناء، وست بنات، فمجموع ذريته: عشرة، أسبغ الله عليهم النعم، وكفاهم الله الشرور والنقم، وجعلهم خير عقب لخير سلف بارين بوالديهم، آمين، آمين[(١)].

۞ وفاتـه:

توفي رَحِمَهُ اللَّهُ قُبيل فجر يوم الخميس السابع والعشرين من شهر محرم الحرام سنة عشرين وأربعمائة وألف من الهجرة، بمدينة

(١) ينظر: الإنجاز في ترجمة الإمام عبد العزيز بن باز (ص٣٤، ٣٥) والإبريزية في التسعين البازية للشتوي (ص٢١) وترجمة سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز للقاسم (ص٢٣).

الطائف (٢٧/ ١/ ١٤٢٠هـ) ونقل جثمانه إلى مكة وغسل في بيته هناك، وصلي عليه في المسجد الحرام بعد صلاة الجمعة، وقبر في مقبرة العدل، عن عمر يناهز التسعين عامًا، رحمه الله رحمة واسعة، وجعل الجنة مثواه، آمين.

تعريف الشَّارح بالرِّسالة ومؤلفها رَحِمَهُ اللَّهُ

الحمد للَّه، وصلَّى اللَّه وسلَّم على رسول اللَّه، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه، أمَّا بعد:

فهذه الرِّسالة القيِّمة العظيمة، وهي المسماة بـ«العقيدة الواسطية»، كتبها المؤلف شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبدالسَّلام بن تيمية الحرَّاني رَحِمَهُ اللَّهُ هو وأبوه وجدُّه.

والمتوفى سنة ثمان وعشرين وسبعمائة من الهجرة [٧٢٨هـ]، وكان مولده سنة إحدى وستين وستمائة هجرية [٦٦١هـ]، فقد عاش رَحِمَهُ اللَّهُ سبعة وستين عامًا.

جمع هذه الرسالة وكتبها إلى أهل واسط، من جهة العراق، وسميت «الواسطية»؛ لأنَّها كُتبت لهم، كما قيل: «الحموية»؛ لأنَّهُ كتبها لأهل حَماة، وقيل: «الرسالة التدمرية» لأنه كتبها إلى أهل تَدْمُر، وهي رسائل عظيمة.

التَّدمرية رسالة عظيمة، وهي أوسع من هذه، وهكذا الحموية فِيها منقولات كثيرة عن أئمة السَّلف رحمهم اللَّه.

وأمَّا هذه الرسالة (العقيدة الواسطية)، فهي مختصرة مفِيدة جامعة، لا أعلم لها نظيرًا فِيما ألَّفه النَّاس لاختصارها، وجمعها لعقيدة السَّلف الصَّالح بعبارات واضحة، وأساليب حسنة رَحِمَهُ اللَّهُ.

[شرح مقدمة المؤلف]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ:

«الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ؛ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ؛ إِقْرَارًا بِهِ وَتَوْحِيدًا.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا مَزِيدًا، أَمَّا بَعْد:

فَهَذا اعْتِقَادُ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ الْمَنْصُورَةِ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ

وَهُوَ الْإِيمَانُ بِاَللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْإِيمَانِ بِالْقَدَرِ؛ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ».

قال الشيخ عبدالعزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول رَحِمَهُ اللَّهُ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ؛ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا»: أرسل محمَّدًا ﷺ بالهدى ودين الحقِّ، كما قال -جلَّ وعلا-: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ﴾ [التوبة: ٣٣]، الهدى: العلم النَّافع، والأخبار الصَّادقة، يقال لها: هدى، ودين الحقِّ: الشَّرائع المستقيمة العادلة؛ من الأوامر والنواهي، واللَّه قد أرسله بعلم نافع، وعمل صالح،

وشرائع مستقيمة؛ «لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ»، بما أرسله من الهُدى، «وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا» على هذا الأمر العظيم.

ثُمَّ قال: «وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ؛ إِقْرَارًا بِهِ وَتَوْحِيدًا» يعني: إقرارًا بأَنَّهُ هو الواحد المستحقّ للعبادة، وهو الواحد فِي ذاته وهو الواحد فِي صفاته وأسمائه، لا سميَّ له، ولا كفء له، ولا شبيه له، وهو الواحد فِي ربوبيته، فهو الخلَّاق الرَّزاق وحده، وهو الواحد في الإلهية؛ لا يستحق العبادة سواه -جلَّ وعلا-: «إِقْرَارًا بِهِ» يعني: بهذا التّوحيد العظيم، «وَتَوْحِيدًا» أي: إفرادًا لله به ﷻ.

ثُمَّ صلَّى على النَّبيِّ ﷺ كما فِي الحديث أَنَّهُ ﷺ أرشد من دعا أن يحمد اللَّه، ثُمَّ يصلِّي على النَّبِيِّ ﷺ، فيستحب في تقدمة الدُّعاء والمؤلفات حمد اللَّه، والثَّناء عليه، والشَّهادة له بالوحدانية، ولنبيِّه بالرِّسالة عليه الصَّلاة والسَّلام؛ لأنَّ هذا من أسباب قبول الدُّعاء، ومن أسباب التَّوفِيق، ولهذا قال فِي حديث فَضَالَة بنَ عُبَيدٍ رضي الله عنه: «**إِذَا صلى أَحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِتَحمِيدِ اللَّهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيهِ، ثُمَّ لِيُصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ لِيَدعُ بَعْدُ بِمَا شَاءَ**»[(١)].

ثُمَّ قال: «أَمَّا بَعْد:» وهي كلمة يؤتى بها للفصل بين ما قبلها وما بعدها، والمقصود: بها الانتقال، يعني: أمَّا بعد ما تقدَّم من الكلام.

«فهذا اعتقاد» يعني: فأقول هذا الذي سأذكره هو اعتقاد «الفرقة النَّاجية المنصورة إلى قيام الساعة؛ (أهل السُّنَّة والجماعة)؛ لأنَّ

(١) أخرجه عن فضالة بن عبيد رضي الله عنه أبو داود برقم (١٤٨١)، والترمذي، برقم (٣٤٧٧)، وقال: «حديث حسن صحيح».

الرَّسول ﷺ أخبر أنَّ الأُمَّةَ تَفتَرِقُ إِلَى ثَلاثٍ وَسَبعِينَ فِرقَةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلا وَاحِدَةٌ، قِيلَ: مَن هُم يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «**الجَمَاعَة**»[(١)] وفِي لفظ: «**مَا أَنَا عَلَيهِ وَأَصحَابِي**»[(٢)]، فهؤلاء هم (أهل السُّنَّة والجماعة)، ويُقال لهم (الفرقة النَّاجية)، وكلّها وصف لفرقة واحدة، فالصَّحابة رضي الله عنهم، ومن سار على نهجهم هم أهل السُّنَّة والجماعة وهم الفرقة النَّاجية.

ويخرج من ذلك: الجهمية، والمعتزلة، والمرجئة، والقدرية، فكلّ من خالف الصَّحابة رضي الله عنهم يكون من الفرق الاثّنتين والسبعين، وإنَّما يكون من الفرقة النَّاجية من سار على نهج الصَّحابة في توحيد اللَّه، والإخلاص له، واتِّباع شريعته، وتعظيم أمره ونهيه، كما جاء فِي كتاب اللَّه تعالى وسنَّة نبيِّه ﷺ هؤلاء هم أهل الفرقة النَّاجية.

وعقيدتهم هي: «الإيمان باللَّه، وملائكته، وكتبه، ورسله،

---

(١) حديث افتراق الأمة قد رواه جمع من الصحابة رضي الله عنهم، قال الحافظ العراقي: أسانيدها جياده كما فِي تخريج أحاديث الإحياء (٣/ ٢٣٠)، واللفظ المذكور عن عوف بن مالك رضي الله عنه أخرجه: ابن ماجه، برقم (٣٩٩٢)، وأخرجه أبو داود برقم (٤٥٩٧) من حديث معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما قال: قام فِينا رسول اللَّه ﷺ فَقَالَ: «**ألا إِنَّ مَنْ قَبْلَكُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ: افْتَرَقُوا عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَإِنَّ هَذِهِ المِلَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ، ثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَهِيَ: الجَمَاعَةُ**»، كما أخرجه الحاكم فِي المستدرك، برقم (٤٤٣). وصححه ووافقه الذهبي (١/ ٢١٨).

(٢) وهذا لفظ رواية عبداللَّه بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أخرجه الترمذي، برقم (٢٦٤١) وقال: «هذا حديث مفسر غريب لا نعرف مثل هذا إلا من هذا الوجه»، وصححه الحاكم فِي المستدرك برقم (٤٤٤) ووافقه الذهبي (١/ ١٢٨)، وحسن الحافظ ابن حجر إسناده فِي تخريج الكشاف، برقم (١٧).

واليوم الآخر ـ وفِي الرواية الأخرى ـ والبعث بعد الموت، وبالقدر خيره وشره»، فعقيدة أهل السنة والجماعة تتفرع من هذه الأصول السِّتة:

الأصل الأول: الإيمان باللَّه.

يدخل فيه: الإيمان بأنَّ اللَّه واحد لا شريك له، وبأنَّه سبحانه أرسل الرُّسل، وأنزل الكتب، وشرع الشَّرائع، ويدخل فِيه؛ أركان الإسلام الخمسة: الصَّلاة، والزَّكاة، والصِّيام، والحج، كلها داخلة في الإيمان باللَّه، فهو الَّذي شرع الشَّرائع، فشرع الصَّلاة، والزَّكاة، والصِّيام، والحجّ، وسائر الأحكام.

الأصل الثاني: الإيمان بالملائكة.

يعني: الإيمان بكلِّ مَن سَمَّى اللَّه في كتابه، أو جاء في السُّنَّة الصّحيحة فإن أهل السُّنَّة يؤمنون به؛ مثال جبرائيل، وميكائيل، واسرافيل، وملك الموت، وخازن النَّار، وغيرهم، فمن فُصِّل خبره من الملآئكة آمنوا به مفصلاً، ومن أُجمل - كحملة العرش والكروبيون[1] وغيرهم -، آمنوا به مجملاً فأهل السُّنَّة يؤمنون بأنَّ للّه ملائكة منهم حملة العرش، ومنهم الكروبيون: الَّذين يحتفون بالعرش، ومنهم من يتعاقبون فينا[2]، ومنهم الملائكة الموكلون بنا، إلى غير ذلك، يؤمنون بهم جميعًا، وأنَّهم عبيد لِلَّه، كما قال اللَّه تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ٢٦ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ٢٧﴾ [الأنبيَاء: ٢٦-٢٧]، وهم خير

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٢٦٨٢)، والحاكم برقم (٨٩٢٤).

(٢) أخرجه عن أبي هريرة رضي الله عنه البخاري (٥٥٥)، ومسلم (٦٣٢).

عباد اللَّه؛ لكن أهل السُّنَّة والجماعة يرون أنَّ المؤمنين من البشر أفضل من الملآئكة بإجماع أهل السُّنَّة ؛ لأنَّهم مُكلَّفون مبتلون بالشَّهوة، فهم أفضل من هذه الحيثية إذا آمنوا واستقاموا.

الأصل الثالث: الإيمان بالكتب.

كذلك أهل السُّنَّة والجماعة يؤمنون بكتب اللَّه المنزلة على الرُّسل جميعًا، ما عرفوه آمنوا به - كالتَّوراة، والانجيل، والزَّبور، والقرآن - وما لم يعرفوه آمنوا به مجملاً، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ﴾ [الحديد: ٢٥]، فأهل السُّنَّة يؤمنون بأنَّ اللَّه أنزل كتبًا على الرُّسل، وأنَّها حقٌّ، وأنَّ كتبه من كلامه -جلَّ وعلا-.

الأصل الرابع: الإيمان بالرسل.

ويؤمن أهل السُّنَّة والجماعة بالرُّسل، وأنَّ اللَّه أرسلهم، أوَّلهم نوح، آخرهم محمَّد عليهم الصَّلاة والسَّلام، ومنهم آدم عليه الصَّلاة والسَّلام، فهو رسول إلى ذريته، فكلّهم حقٌّ، كلهم بلغوا رسالات اللَّه، وكلّهم بُعِثوا ليدعوا النَّاس إلى توحيد اللَّه وطاعته، وينذروهم الشِّرك والمعاصي.

وسُميَ نوحًا (أوَّل رسول)؛ لأنَّه أوَّل رسول أُرسل لأهل الأرض بعد ما وقع الشِّرك فيهم، وكانوا قبل ذلك على التَّوحيد؛ تبعًا لشريعة آدم -عليه الصَّلاة والسَّلام-، ثُمَّ وقع الشِّرك في قوم نوح عليه السلام بسبب الغلو في: (ودّ، وسواع، ويغوث، ويعوق، ونسر)[(١)]؛

(١) أخرجه عن ابن عباس رضي الله عنهما البخاري برقم (٤٩٢٠).

فأرسل اللَّه نوحًا إليهم يدعوهم إلى توحيد اللَّه، وينذرهم نقمة اللَّه، فلما أصروا ولم يستجيبوا أخذهم اللَّه بالطَّوفان والغرق، نسأل اللَّه العافية.

الأصل الخامس: الإيمان باليوم الآخر.

وهكذا أهل السُّنَّة يؤمنون باليوم الآخر، أو [البعث بعد الموت]، والبعث يقال له: البعث الآخر، ويقال: اليوم الآخر، ويُسمَّى البعث بعد الموت، كلّها جاءت بها النُّصوص، فاليوم الآخر بنص القرآن مذكور، وجاء في بعض الأحاديث البعث بعد الموت.

فأهل السُّنَّة: يؤمنون بأنَّ الجنَّ والإنس، يموتون وأنَّهم يبعثون ويجازون على أعمالهم، خيرها وشرها، كما بيَّن اللَّه ذلك فِي قوله -جلَّ وعلا-: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٧﴾ [التغابن: ٧]، فلابدَّ من بعث النَّاس وجزائهم.

الأصل السَّادس: الإيمان بالقدر خيره وشرِّه.

وأهل السنَّة يؤمنون أنَّ اللَّه قدَّر الأشياء قبل خلق النَّاس، بقدره السَّابق، كما جاء فِي صحيح مسلم عن عبداللَّه بن عمرو بن العاص ﷺ عن النبي ﷺ أنَّه قال: «**كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الخَلَائِقِ قَبلَ أَن يَخلُقُ السَّمَوَاتِ، وَالأَرضَ بِخَمسِينَ أَلفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرشُهُ عَلَى المَاءِ**»[(١)]، قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ٤٩﴾ [القمر: ٤٩]، وقال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ

(١) أخرجه عن عبداللَّه بن عمرو بن العاص ﷺ مسلم، برقم (٢٦٥٣).

مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الحَديد: ٢٢-٢٣] قدر سابق ثابت مكتوب، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾ [الحَجّ: ٧٠].

فأهل السُّنَّة: يؤمنون بأنَّ اللَّهَ قدَّر الأشياء، قبل خلق الخلائق كُلِّها، قبل خلق السَّموات بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء ﷻ.

فهذه الأركان الستة هي أصول الإيمان عند أهل السُّنَّة والجماعة.

❋ ❋ ❋

[الإيمان بإثبات صفات اللَّهِ تعالى]

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وَمِنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ:

- الْإِيمَانُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ.

- وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ مُحَمَّدٌ ﷺ مِنْ غَيْرِ: تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ: تَكْيِيفٍ وَلَا تَمْثِيلٍ.

بَلْ يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١].

فَلَا يَنْفُونَ عَنْهُ: مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، وَلَا يُحَرِّفُونَ: الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَلَا يُلْحِدُونَ فِي: أَسْمَاءِ اللَّهِ، وَآيَاتِهِ، وَلَا يُمَثِّلُونَ: صِفَاتِهِ بِصِفَاتِ خَلْقِهِ.

لِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ؛ لَا سَمِيَّ لَهُ، وَلَا كُفُوَ لَهُ، وَلَا نِدَّ لَهُ، وَلَا يُقَاسُ بِخَلْقِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ؛ أَعْلَمُ بِنَفْسِهِ وَبِغَيْرِهِ، وَأَصْدَقُ قِيلًا، وَأَحْسَنُ حَدِيثًا مِنْ خَلْقِهِ.

ثُمَّ رُسُلُهُ صَادِقُونَ مُصَدَّقُونَ؛ بِخِلَافِ الَّذِينَ يَقُولُونَ عَلَيْهِ مَا لَا يَعْلَمُونَ، وَلِهَذَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ [الصافات: ١٨٠-١٨٢]، فَسَبَّحَ نَفْسَهُ عَمَّا وَصَفَهُ بِهِ الْمُخَالِفُونَ لِلرُّسُلِ، وَسَلَّمَ عَلَى الْمُرْسَلِينَ

لِسَلَامَةِ مَا قَالُوهُ مِنَ النَّقْصِ وَالْعَيْبِ».

قال الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وَمِنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ»: الإيمان بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل؛ فيدخل فِي الإيمان باللَّهِ: الإيمان بما سمى اللَّه به نفسه، مثل اسم اللَّه الحكيم، العزيز، الرؤوف، الرحيم، القدير، وما تشتمل عليه من صفات -.

أو وصفه به رسوله ﷺ فِي الأحاديث الصَّحيحة فيجب إثباتها لِلَّه، كما فِي الحديث الصَّحيح: «**يَضْحَكُ اللَّهُ إِلَى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الآخَرَ كِلاهُمَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ**»(١).

وفي الحديث الآخر: «**إِنَّ رَبِّي غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ**»(٢) يعني: يوم القيامة، إلى غير هذا من صفات اللَّه -جلَّ وعلا-، التي جاء بها الكتاب العزيز، أو السنَّة المطهرة، يؤمن بها أهل السُّنَّة مع اعتقادهم أنَّه "لا سميَّ لهُ، ولا كفء له، ولا ندَّ له" يعني: لا مثيل له، "ولا يقاس بخلقه ﷻ" فله الأسماء الحسنى والصِّفات العلى، فلا يمثِّلون صفاته بصفات

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أخرجه البخاري، برقم (٢٨٢٦)، ومسلم، برقم (١٨٩٠)، وتمامه: فَقَالُوا: كَيْفَ يَا رَسُولَ اللَّهِ!؟ قَالَ: «**يُقَاتِلُ هَذَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﷻ، فيسْتَشْهَدُ، ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَى القَاتِلِ: فيسْلِمُ، فيقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﷻ، فيسْتَشْهَدُ..**».

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أخرجه البخاري، برقم (٣٣٤٠)، ومسلم، برقم (١٩٤).

خلقه -جلَّ وعلا-؛ بل يعلمون أنَّ صفاته تليق به، لا يشبه فيها خلقه ﷻ، ليس له سميَّ، كما قال تعالى: ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ٦٥﴾ [مَريَم: ٦٥]، وقوله: ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ٤﴾ [الإخلاص: ٤]، وقوله: ﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢﴾ [البَقَرَة: ٢٢].

فأهل السُّنَّة والجماعة: يثبتون صفات اللَّه وأسماءه على الوجه اللَّائق به ﷻ، فلا ينفون صفاته، ولا يحرِّفون كَلِمه عن مواضعه؛ بل يؤمنون بكل ما جاء في الكتاب والسُّنَّة من أسماء اللَّه وصفاته على الوجه اللَّائق باللَّه -جلَّ وعلا- من غير تحريف" والتحريف: هو تغيير الكلام بالزيادة أو النقص، "ولا تعطيل" للصفات، ـ بنفيها أو أو تأويل معناها ـ.

نُمِرُّها مع الإيمان بأنَّها حقٌّ، وأنها صفات ثابته لله، وأن اللَّه موصوف بها حقيقة من دون تشبيه، ولا تمثيل، ولا تكييف، ولا تعطيل، هكذا قال أهل السُّنَّة والجماعة.

«**ومن غير تكييف**» يعني: لا يقولون: استواؤه كيفيته كذا، أو نزوله كيفيته كذا، أو غضبه كيفيته كذا، فلا يكيِّفون.

«**ولا تمثيل**» لا يقولون: غضبه مثل كذا، أو استواؤه مثل كذا، أو سَمْعه مثل كذا، أو بصره مثل كذا، لا.

فأهل السُنَّة يثبتون صفات اللَّه وأسماءه على الوجه اللَّائق باللَّه، لا يغيِّرون، ولا يحرِّفون، ولا يمثلون، ولا يعطلون، ولا يكيفون، قاعدتهم فِي ذلك: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ [الشّورىٰ: ١١].

ولما سئل الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ وغيره من السلف عن هذا قال:

«الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة»[(١)].

بل هو ﷻ موصوف بأسمائه، كما أخبر، من دون زيادة ولا نقص، وهي صفات حقيقية؛ استواء حقيقي، سمع حقيقي، رضًا حقيقي، غضب حقيقي، لا مجاز، على الوجه اللَّائق باللَّهِ تعالى.

فلا نكيف، ولا نمثل، ولا نشبه، ولا نحرف؛ بل نجري الأمور على ظاهرها كلّ ما جاء في النّصوص نمرها كما جاءت، كما قال السلف: «أَمِرُوهَا كَمَا جَاءَتْ «بلا كيف»»[(٢)].

«ثُمَّ رُسُلُهُ صَادِقُونَ مُصَدَّقُونَ» فيما أخبروا به، فالَّذي أخبر به القرآن أخبرت به الرُّسل -عليهم الصَّلاة والسَّلام- وأفضلهم وإمامهم وخاتمهم محمَّد -عليه الصَّلاة والسَّلام- أخبر بأنَّه سبحانه هو العلي الأعلى، وهو مستوٍ على العرش، وهو الَّذي يعطي ويمنع، وهو القادر على كل شيء، وهو المستحق للعبادة، فجاءت السُّنَّة بأوصافه العظيمة ﷻ، وأنَّه الإله الحقّ المستحقُّ؛ لأن يعبد كما دلَّ عليه القرآن.

والرُّسل عليهم السلام «صَادِقُونَ» فيما أخبروا به عن اللَّه تعالى،

---

(١) هذا الأثر مروي عن عدد من السلف، منهم: الإمام مالك، وشيخه: ربيعة بن أبي عبد الرحمن، والإمام الشافعي، والأوزاعي، والثوري، وغيرهم من الأئمة، وقد رُوي عن أم سلمة رضي الله عنها موقوفًا ومرفوعًا، وسيأتي تخريجه عند شرح آيات الاستواء.

(٢) هذا الأثر أخرجه: الخلال فِي السُّنَّة (١/ ٢٤٣). والآجري في الشريعة. برقم (٧٢٠)، والدارقطني في الأسماء والصفات. برقم (٦٧) وابن منده في التوحيد. برقم (٨٩٤)، واللالكائي في شرح عقيدة أهل السنة والجماعة. برقم (٩٣٠).

ومُصَدِّقُونَ يعني: يجب تصديقهم على كلِّ مكلَّف، فهم ما جاءهم من عند اللَّه إلَّا الصّدق، فهم صادقون، ومصدَّقون ومصدِّقُون؛ فالواجب على جميع المكلَّفين تصديقهم، والعمل بما جاءوا به، فكلُّ أمَّة تعمل بما جاء به رسولها، ورسول هذه الأمَّة محمَّد -عليه الصَّلاة والسَّلام- يجب عليهم أن يتبعوا ما جاء به، وينقادوا لشرعه، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧]، وقال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨].

ومما جاء به -عليه الصلاة والسلام-: ما أخبر به عن اللَّه وأسمائه، وصفاته، فيجب تصديقه فِي ذلك، والإيمان بكلِّ ما أخبر به من أسماء اللَّه وصفاته إيمانًا بريئًا من التَّمثيل مع تنزيه اللَّه عن مشابهته خلقه تنزيهًا بريئًا من التعطيل.

ولهذا قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: «بِخِلَافِ الَّذِينَ يَقُولُونَ عَلَيْهِ مَا لَا يَعْلَمُونَ» من الكفرة والجهلة؛ ولهذا سبَّح نفسه عمَّا يقوله الكذَّابُون، فقال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ [الصَّافات: ١٨٠-١٨٢] فحمد نفسه؛ لأنَّه الكامل فِي ذاته، وأسمائه، وصفاته، فقال تعالى: ﴿وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾، ونزَّه نفسه عمَّا يقوله المخالفون للرُّسُل من أعدائه، فقال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾﴾، يعني: عمَّا يصفه به أعداء اللَّه من الكفرة؛ من اتخاذ الولد، والصَّاحبة، ومن أنَّ له شريكًا، فكل هذا باطل نزَّه نفسه عنه، لم يتخذ صاحبةً ولا ولدًا، وهو سبحانه الفرد الصَّمد، قال تعالى:

﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [البقرة: ١٦٣] ثم سلَّم على المرسلين، لسلامة ما قالوه، من نفي النَّقص والعيب فقال سبحانه، ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾﴾ [الصَّافات: ١٨١]، لأنَّهم سلَّموا للَّه بما أخبرهم به، وانقادوا له، وبلغوا الأمم، فهم سَالِمُونَ مُسلِمُون صادقون فِي نفس الأمر مُصَدِّقُونَ ومُصَدَقُونَ، ثُمَّ حمد نفسه، فقال تعالى: ﴿وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ [الصَّافات: ١٨٢]، لكمال ذاته، وكمال صفاته وأفعاله ﷻ، ولهذا فله الحمد المطلق.

❋ ❋ ❋

[جمع اللَّه في وصفه نفسه بين النفي والإثبات]

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وَهُوَ سُبْحَانَهُ قَدْ جَمَعَ فِيمَا وَصَفَ وَسَمَّى بِهِ نَفْسَهُ بَيْنَ: النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ.

فَلَا عُدُولَ لِأَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ عَمَّا جَاءَتْ بِهِ الْمُرْسَلُونَ، فَإِنَّهُ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، صِرَاطُ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ، وَالصِّدِّيقِينَ، وَالشُّهَدَاءِ، وَالصَّالِحِينَ.

وَقَدْ دَخَلَ فِي هَذِهِ الْجُمْلَةِ:

مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي «سُورَةِ الْإِخْلَاصِ» الَّتِي تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ، حَيْثُ يَقُولُ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص: ١-٤].

وَمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي أَعْظَمِ آيَةٍ فِي كِتَابِهِ: حَيْثُ يَقُولُ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ﴾ - أَيْ: لَا يُكْرِثُهُ وَلَا يُثْقِلُهُ - ﴿حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ۝٢٥٥﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥]. وَلِهَذَا كَانَ مَنْ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ فِي لَيْلَةٍ؛ لَمْ يَزَلْ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلَا يَقْرَبُهُ شَيْطَانٌ حَتَّى يُصْبِحَ».

قال الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ:

اللَّه سبحانه قد جمع فيما وصف وسمى به نفسه بين النَّفْي والإثبات، فالنفي مُجْمَل، والإثبات مفصل، هذه هي طريقة القرآن والسُّنَّة؛ نفيٌ مجملٌ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢٢]، ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [مريم: ٦٥]، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: ٤]، إلى غير ذلك من الآيات، وإثباتٌ مُفَصَّلٌ: هو العزيز، الحكيم، الرؤوف، الحليم، اللَّه أحدٌ، اللَّه الصَّمد، الغفور، الرحيم، الملك، القدوس، السَّلام، إلى غير ذلك من أسمائه وصفاته المفصَّلة سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

«**فَلَا عُدُولَ لِأَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ**» أي: ليس لهم معدل «عَمَّا جَاءَتْ بِهِ الْمُرْسَلُونَ، فَإِنَّهُ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ» وهو توحيد اللَّه، وطاعته، والإيمان به، وبأسمائه وصفاته، وأنَّه لا شبيه له، ولا كفء له، ولا ندَّ له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فهذا هو صراطه المستقيم، الَّذي قال اللَّه فيه: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾﴾ [الفاتحة: ٦]، صراط: ﴿ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النِّساء: ٦٩]، وهو الإيمان باللَّه، وبأسمائه، وصفاته، وتنزيه اللَّه عن مشابهة خلقه، ووصفه بصفات الكمال، وطاعة أوامره، وترك نواهيه، والوقوف عند حدوده، هذا هو الصَّراط المستقيم، فجمع اللَّه بين التفصيل فِي الإثبات، والإجمال في النفي، فقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: ١-٤]، فذكر أنَّه اللَّه، وأنَّه أحد، وأنَّه الصمد، ثمَّ قال: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾﴾ وهذا تفصيل خاص بنفي الولادة؛

لِما يترتب عليه من النقائص، ثم عمَّم فقال تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾، ومثل قوله تعالى قال: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [مَريَم: ٦٥]، وقوله: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البَقَرَة: ٢٢]، وقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشّورىٰ: ١١].

وهكذا فِي آية الكرسي: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥]، فنفى عن نفسه السِّنَة وهو: النُّعاس، والنوم وهو ما ثقل من النوم؛ لأنَّه سبحانه موصوف بكمال الحياة؛ والنعاس والنوم نقص فِي الحياة، واللَّه تعالى منزه عن ذلك، هو الحي الذي لا يموت، والنوم: نوع من الموت، ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾، يعني: مالك لكل شيء، ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥]، يعني: لا أحد يشفع عنده إلَّا بإذنه يوم القيامة، فالرُّسل والصَّالحون يشفعون بإذنه ﷻ، أمَّا فِي الدُّنيا فاللَّه سبحانه أمر النَّاس جميعًا أن يدعوه، ويَخُصُّوه بالدُّعاء، ويشفعوا لإخوانهم فِي اللَّه، وكان النَّبيُّ ﷺ يَشفع إذا طلب منه الشَّفاعة، لأنَّه أُذن فِي الشَّرع أن يشفع المسلمون بعضهم فِي بعض فقال: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا﴾ [النِّسَاء: ٨٥]، فأذن لهم سبحانه وحثَّهم على هذا، وعلى التَّعاون على البر والتَّقوى، والتَّناصح والتَّواصي بالحقِّ، والشَّفاعة من التَّواصي بالحقِّ، ومن الإحسان، فهي جائزة فِي الدُّنيا بإذنه العام سبحانه، وفِي الآخرة لا تصلح الشَّفاعة إلَّا بإذن خاص، ولهذا يتقدَّم النَّاس يوم القيامة إلى آدم، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى عليهم السلام وكلّهم يعتذرون، حتى يتقدَّم نبينا محمد -عليه الصَّلاة والسَّلام- فيسجد بين يدي ربِّه تحت العرش، ثُمَّ يحمد اللَّه بمحامد

عظيمة يفتحها عليه، ثُمَّ يُؤذن له فيقال: «**اشْفَعْ تُشَفَّعْ**»[(١)].

فآية الكُرسي أعظم آية فِي كتاب[(٢)] اللَّه، فيها إثبات ونفِي، ﴿ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ هذا إثبات، ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ هذا نفي، ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ هذا إثبات، ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ نفي، ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ إثبات ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥]، فبيَّن كماله، وأنَّه العلي العظيم، وأنَّه كامل الحياة الحيُّ القيوم، وأنَّه المالك لكلِّ شيء؛ فالواجب الضَّراعة إليه وسؤاله ﷻ، واللّجوء إليه فِي كلِّ شيء، بيده تصريف الأمور، ولهذا يقول سبحانه: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غَافر: ٦٠]، ويقول: ﴿وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ [النِّسَاء: ٣٢]، ويقول -جلَّ وعلا-: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البَقَرَة: ١٨٦].

❀ ❀ ❀

(١) طرف من حديث أبي هريرة رضي الله عنه الطويل فِي الشَّفاعة «وهو متفق عليه»، وقد سبق تخريجه في (ص٢٦).

(٢) كما فِي سؤاله ﷺ لأبي بن كعب رضي الله عنه عن أعظم آية فِي القرآن؟ فقال أبيٌّ رضي الله عنه ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥] فَضَرَبَ عَلَى صَدْرِهِ، وَقَالَ: «**لِيَهْنَكَ العِلْمُ أَبَا المُنْذِرِ..**» أخرجه مسلم، برقم (٨١٠).

[الإيمان بأَوَّلِيَّة اللَّه وأزليَّته
وإثبات علمه وسمعه وبصره، ومشيئته، وإرادته]

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«**قوله سبحانه:** ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [الحديد: ٣]، **وقوله سبحانه:** ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨].

وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾ [التحريم: ٢]، ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [الأنعام: ١٨]، ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ [سبإ: ٢].

وقوله: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام: ٥٩]، **وقوله:** ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾ [فاطر: ١١]، **وقوله:** ﴿لِّتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق: ١٢]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات: ٥٨]، **وقوله:** ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١].

وقوله: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [الكهف: ٣٩]، **وقوله:** ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾﴾ [البقرة: ٢٥٣].

وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ ۚ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ

ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾﴾ [المائدة: ١]، وقوله: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام: ١٢٥]».

قال الشارح رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذه الآيات قد جمع اللَّه فِيها ما سمى به نفسه، ووصف به نفسه بين النَّفي والإثبات، وفيها يثبت صفات الكمال لنفسه الكريمة، وينفي عنها صفات النقص والعيب.

وهكذا قوله: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [الحديد: ٣]، كما قال النَّبِيُّ ﷺ: «**اللَّهُمَّ أَنْتَ الأَوَّلُ، فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وأنت الباطنُ فليس دُونَكَ شيء**»[(١)]، فهو الظَّاهِرُ: فوق عباده جميعًا، ليس فوقه شيء، وَالبَاطِنُ: ليس دونه شيء يعلم كلّ شيء لا تخفى عليه خافِية.

وهكذا آيات العلم الَّتي ذكرها بعده: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾ [التحريم: ٢]، وقوله: ﴿لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق: ١٢]، وغير ذلك من الآيات الَّتي فِيها العلم والحكمة، وآيات الرِّزق والقوة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذّاريات: ٥٨].

وآيات المشيئة، وآيات الإرادة كُلُّها تدلُّ على عظمته سبحانه، وأنَّه سبحانه له المشيئة الكاملة، وله الإرادة الكاملة، وله العلم

(١) أخرج هذه الصفات الأربع ومعانيها عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مسلم، برقم (٢٧١٣).

الكامل، وله القدرة الكاملة، كلُّها صفاته -جلَّ وعلا-، ولكن على وجه لا يشابه عباده، قوته ليست مثل قوة عباده؛ بل قوته أكمل شيء، وهكذا جميع الصَّفات هي فيه على وجه الكمال المطلق ولهذا قال سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، وقال: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [النحل: ٧٤]، ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [مريم: ٦٥]، وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: ٤]، فعلمه كامل ليس كعلم المخلوقين، فلا تخفى عليه خافِية، وهكذا حكمته وقدرته، وقوته، وحلمه، وسمعه، وبصره؛ كلّها صفات كمال ليس فِيها نقص، ولا يشابهه عباده فِيها، بخلاف صفات المخلوقين؛ فهي ناقصة ضعيفة.

والمشيئة: بمعنى الإرادة الكونية، يعني: أن مشيئته نافذة لا يردها شيء، ما شاء اللَّه كان من موتٍ، أو حياةٍ، أو عزِّ قوم، أو ذلّ قوم، أو زوال ملك، أو ثبات ملك، أو ولادة أو عدمها، كل ذلك نافذ إن شاء اللَّه، كما قال تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير: ٢٨-٢٩]، ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ [الأنعام: ١١٢]، ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟﴾ [البقرة: ٢٥٣]، إلى غير ذلك.

والإرادة قسمان أيضًا: إرادة كونية: كالمشيئة النَّافذة الَّتي لا يردُّها رادٌ، كما فِي قوله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام: ١٢٥]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾﴾ [المائدة: ١]، فهذه إرادة كونية نافذة، - كالمشيئة - لا رادَّ لها.

أمَّا الإرادة الشَّرعية الَّتي بمعنى المحبة والرضا؛ فهذه قد تقع، وقد لا تقع، وهي مثل قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾﴾ [النِّسَاء: ٢٦-٢٧]؛ فهذه إرادة شرعية، قد تقع وقد لا تقع، يريد اللَّه أن يهدي المسلمين جميعًا، يريد أن يتوب عليهم؛ لكن هذه إرادة شرعية، أكثر الخلق ما تيّب عليهم أكثرهم يموت على الكفر، فالإرادة الشَّرعية قد تقع وقد لا تقع.

فاللَّه أراد شرعًا للإنسان أن يقبل الحقّ، ويتّبع الرَّسلَ، وأن يطيع اللَّه، ثُمَّ منهم من أطاع، ومنهم من عصى، فمن أطاعه فله الجنَّة، ومن عصاه فله النَّار، كما قال -جلَّ وعلا-: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النِّسَاء: ١٣-١٤]، كلّهم متوعدون، فمن أطاع باختياره وإرادته فله الجنَّة، ومن عصاه فله النَّار هذه الإرادة الشَّرعية، أمَّا الإرادة الكونيَّة فلا يخالفها أحدٌ، فإذا أراد اللَّه أن يقع كونًا فإنَّه يقع.

❋ ❋ ❋

[ذكر بعض ما جاء فِي القرآن من صفات الخالق -جلَّ وعلا- كالمحبَّة، والرَّحمة، والرِّضا، والغضب، والكراهيَّة، والسَّخط]

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«**قوله**: ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾ [البَقَرَة: ١٩٥]، وقوله: ﴿وَأَقْسِطُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾﴾ [الحُجرَات: ٩]، **وقوله**: ﴿فَمَا ٱسْتَقَٰمُواْ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُواْ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾﴾ [التّوبَة: ٧]، **وقوله تعالى**: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عِمرَان: ٣١]، **وقوله**: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المَائدة: ٥٤]، **وقوله**: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾﴾ [الصَّف: ٤]، **وقوله**: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾﴾ [البُرُوج: ١٤].

وقوله تعالى: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾﴾ [الفَاتِحَة: ١ والنمل: ٣٠]، **وقوله**: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غَافر: ٧]، **وقوله**: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزَاب: ٤٣]، **وقوله**: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [الأعرَاف: ١٥٦]، **وقوله**: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعَام: ٥٤]، **وقوله**: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾ [يُونس: ١٠٧]، **وقوله**: ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [يُوسُف: ٦٤]، **وقوله تعالى**: ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾﴾ [المَائدة: ١١٩]، **وقوله تعالى**: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ﴾ [النِّسَاء: ٩٣].

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ﴾ [مُحَمَّد: ٢٨]، **وقوله:** ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الزُّخرُف: ٥٥]، **وقوله تعالى:** ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ﴾ [التَّوبَة: ٤٦]، **وقوله:** ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾ [الصَّف: ٣]».

قال الشارح رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذه الآيات الكثيرة الَّتي فِيها صفة المحبة، قد وصف اللَّه نفسه فِيها بالمحبة، بأنَّه يُحِبُّ ويُحَبُّ، يُحِبُّ المتقين، وَيُحِبُّ المحسنين، ويُحِبُّ المقسطين، قال تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المَائدة: ٥٤]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ﴾ [آل عِمرَان: ٣١]، كذلك أيضًا الرَّحمة، والرَّحمن، والرَّحيم، فهو رحيم، ورحمته وسعت كلَّ شيء، وهو أيضًا غفورٌ، ودودٌ، والودود: معناه الحبيب المحبوب، وهو أيضًا يرضى، ويغضب، ويسخط، ويكره، ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [المَائدة: ١١٩]، ﴿غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾ [المجَادلة: ١٤]، ﴿ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ﴾ [مُحَمَّد: ٢٨]، وقال: ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ﴾ [التَّوبَة: ٤٦].

كلّ هذه صفات حقّ: الرِّضا، والمحبَّة، والرَّحمة، والسُّخط، والكراهة، كلّها يوصف بها -جلَّ وعلا-، كسائر الصِّفات؛ على الوجه اللَّائق باللَّه سبحانه من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، فليست محبته كمحبة المخلوقين، وليس رضاه كرضاهم، وليس بغضه كبغضهم، وليست كراهته ككراهة المخلوقين،

وليس مقته كمقتهم، وهكذا جميع الصِّفات الباب فِيها واحد، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١]، وقال ﷻ: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: ٤]، وقال ﷻ: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [النحل: ٧٤]، فنقول: نؤمن باللَّه -جلَّ وعلا-، وبأسمائه الحسنى، وصفاته العلا الثَّابتة فِي القرآن والسُّنَّة الصَّحيحة على الوجه اللَّائق باللَّه، من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل؛ بل نقول: صفاته كُلُّها حقٌّ، وأسماؤه كُلَّها حسنى، ونثبتها للَّه، كما أثبتها هو لنفسه -جلَّ وعلا- وأثبتها النَّبِيّ ﷺ وأثبتها أصحابه ﷺ، على الوجه اللَّائق باللَّه صفاته لا تشبه صفات خلقه، وأسماؤه لا تشابه أسماء خلقه؛ بل هو سبحانه له الأسماء الحسنى، والمعاني العظيمة؛ لهذا قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، لكمالها، وكمال معانيها سماها حسنى ﷻ.

ولا يعلم، كيف صفاته إلَّا هو ﷻ، يعلم لا كعلمنا، ويرحم لا كرحمتنا، ويستوي لا كاستوائنا، وينزل لا كنزولنا، ويجيء لا كمجيئنا، ويغضب لا كغضبنا، وهكذا القول فِي سائر الصِّفات: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١].

الاستواء معلوم، الرَّحمة معلومة، الغضب معلوم، المحبة معلومة، الإرادة معلومة، المشيئة معلومة، لكن الكيف مجهول، لكن نعرف أنَّ المحبة غير الغضب، والغضب غير الرِّضا، والرِّضا غير المغفرة، وهكذا صفاته معانيها معلومة؛ لكن كيفيتها لا يعلمها إلَّا هو ﷻ.

يَرحم قومًا، ويُعاقب آخرين، وينتقم منهم، يرحم قومًا جاهدوا فِي سبيله واتقوه، ويغضب على آخرين وينتقم منهم؛ لعصيانهم إيَّاه وكفرهم به.

هذا طريق أهل السُّنَّة وسبيلهم ومنهجهم الإيمان بالصِّفات، واعتقاد أنَّها حقٌّ، وأنَّها لائقة باللَّه، وأن معانيها حقٌ، لكن لا يعلم كيفيتها إلَّا هو ﷻ.

❋ ❋ ❋

[ذكر بعض صفات اللَّه الفعليَّة والذَّاتية ممَّا جاء في القرآن]

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«**وقوله:** ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ [البَقَرَة: ٢١٠]، **وقوله:** ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨]، **وقوله:** ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفَجر: ٢١-٢٢]، **وقوله:** ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾﴾ [الفُرقان: ٢٥].

وقوله: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرَّحمٰن: ٢٧]، **وقوله:** ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القَصَص: ٨٨].

وقوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [صٓ: ٧٥]، **وقوله:** ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [المَائدة: ٦٤]، **وقوله:** ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطُّور: ٤٨]، **وقوله:** ﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾﴾ [القَمَر: ١٣-١٤]، **وقوله:** ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾﴾ [طٰه: ٣٩].

وقوله: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾﴾ [المجَادلة: ١]، **وقوله تعالى:** ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ [آل عِمرَان: ١٨١]، **وقوله:** ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ

يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [الزخرف: ٨٠].

وقوله: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ [طه: ٤٦]، **وقوله:** ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾﴾ [العلق: ١٤]، **وقوله:** ﴿ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾﴾ [الشعراء: ٢١٨-٢٢٠]، **وقوله:** ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥].

وقوله: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾﴾ [الرعد: ١٣]، **وقوله:** ﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [آل عمران: ٥٤]، **وقوله:** ﴿وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [النمل: ٥٠]، ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾﴾ [الطارق: ١٥-١٦].

وقوله تعالى: ﴿إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾﴾ [النساء: ١٤٩]، **وقوله:** ﴿وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [النور: ٢٢]، **وقوله:** ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨]، **وقوله عن إبليس:** ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾﴾ [ص: ٨٢].

وقوله: ﴿تَبَارَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِي ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾﴾ [الرحمن: ٧٨]، **وقوله تعالى:** ﴿فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [مريم: ٦٥]، **وقوله:** ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: ٤]».

قال الشارح رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذه الآيات الكريمات كلُّها تشتمل على جملة من الصِّفات للرَّب ﷻ، فالواجب إثباتها لِلَّه على الوجه اللَّائق به سبحانه من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، ومن ذلك قوله -جلَّ وعلا-: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ

وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾ [البَقَرَة: ٢١٠]، وقوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾ [الأنعَام: ١٥٨]، وقوله -جلَّ وعلا-: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفَجر: ٢٢]، فإتيان اللَّه ومجيؤه يوم القيامة حقٌّ على الوجه اللَّائق به سبحانه، فاللَّه لا يشابه خلقه فِي شيء من صفاته.

وقوله: ﴿أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعَام: ١٥٨]، هي: طلوع الشَّمس من مغربها.

وقوله: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرَّحمٰن: ٢٧]، وقوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القَصَص: ٨٨]، فيه: إثبات الوجه لِلَّه حقيقة.

وقوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المَائدة: ٦٤]، فيه: إثبات اليدين له حقيقة، فله سبحانه اليدان الكريمتان وله الوجه الكريم -جلَّ وعلا-.

كذلك له العين، كما قال تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴿٣٩﴾﴾ [طٰه: ٣٩]، وقال سبحانه: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القَمَر: ١٤]، فهو سبحانه موصوف بالعين، والبصر، والسَّمع على الوجه اللَّائق به سبحانه.

وهكذا المَكْرُ ـ المقيَّد بالمقابل ـ قال -جل وعلا-: ﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾ [آل عِمرَان: ٥٤]، والكيد: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾﴾ [الطّارق: ١٥-١٦]، وهو مكر وكيد بحقٍّ يليق باللَّه سبحانه، لا يشابه خلقه فِي مكره ولا فِي كيده.

وهكذا سمعه سبحانه، قال تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ﴾ [المجَادلة: ١]، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾﴾ [البَقَرَة: ١٨١]، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾﴾ [الحَجّ: ٧٥]، إلى غير ذلك، من الآيات الكثيرات فيها السَّمع، وفيها

العلم، والبصر، والمحبة.

كلَّها حقٌّ يجب إثباتها لِلَّه ﷻ على الوجه اللَّائق باللَّه من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تأويل، له سمع لا كالأسماع، وبصر لا كالأبصار، وعين لا كالأعين، ويد لا كالأيدي، وقدم لا كالأقدام، وهكذا بقيَّة الصفات يقول سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشّورىٰ: ١١].

❋ ❋ ❋

[إثبات الوحدانيَّة لِلَّه تعالى ونفي الشَّريك عنه وذكر جملة من صفاته -جلَّ وعلا-]

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢٢]

وقوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

وقوله: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾﴾ [الإسراء: ١١١].

وقوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [التغابن: ١].

وقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾﴾ [الفرقان: ١-٢] **وقوله:** ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [المؤمنون: ٩١-٩٢] **وقوله:** ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [النحل: ٧٤] **وقوله:** ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف: ٣٣].

وقوله: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ **في سبعة مواضع: في سورة**

الأعراف قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [٥٤] **وقال في سورة يونس** عليه السلام: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [٣]، **وقال في سورة الرعد:** ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [٢]، **وقال في سورة طه:** ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [٥]، **وقال في سورة الفرقان:** ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [٥٩]، **وقال في سورة [ألم] السجدة:** ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [٤]، **وقال في سورة الحديد:** ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [٤]».

قال الشارح رحمه الله:

هذه الآيات كلّها فِي بيان جملة من صفات اللَّه ﷻ كالَّتي سبقت، وطريقة أهل السُّنَّة والجماعة فِي ذلك الإيمان بها، وإثباتها كما جاءت على الوجه اللَّائق باللَّه سبحانه، من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.

وهكذا ما جاء فِي السُّنَّة الصحيحة من صفات اللَّه كُلِّها على هذا السَّبيل.

فقوله -جلَّ وعلا-: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٢٢﴾ [البقرة: ٢٢]، وقوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا﴾ [البقرة: ١٦٥]، الأنداد: الأشباه والنظراء فليس للَّه ند ولا نظير، فقوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا﴾ [البقرة: ١٦٥]، على سبيل الذَّم، وقد نهى اللَّه عن هذا بقوله: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٢٢﴾ [البقرة: ٢٢]، يعني: لا تتخذوا معه معبودات من

أصحاب القبور، أو من الأنبياء، أو من الملائكة، أو من الجِنِّ، أومن الأحجار؛ كُلُّ ذلك باطلٌ، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الحَجّ: ٦٢] الآية من سورة الحج، وقال تعالى فِي سورة لقمان: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [لقمَان: ٣٠].

فالواجب على جميع المكلَّفين أن يعبدوه وحده، وأن يتبرؤوا من الأنداد، وأن يعلموا يقينًا أنَّه لا ندَّ له، ولا مثل له، ولا كفء له، وأن يعتقدوا ذلك، قال تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص: ٣-٤]، ويقول سبحانه: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [النّحل: ٧٤]، ويقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ [الشّورىٰ: ١١].

وقوله ﷻ: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ﴾ [الإسرَاء: ١١١]، ليس لله سبحانه وليٌّ من الذّل؛ فهو الغني عن كلِّ ما سواه، وهو العزيز القاهر الغالب، ليس له أولياء من الذُّل؛ ولكن أولياء يُحِبُّهم ويُحِبُونه، أطاعوه واتقوه، فهم أولياء له على سبيل المحبة لهم والتقريب لهم؛ لكونهم أطاعوه وعظموا أمره، كما قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ۝٦٣﴾ [يُونس: ٦٢-٦٣]، هؤلاء هم أولياء اللَّه.

وهكذا جميع الآيات الَّتي فِيها ذكر الملك، والحمد، والقدرة، فهو المالك لكلِّ شيء، الخالق لكلِّ شيء، القادر على كلِّ شيء، العالم بجميع أحوال عباده كُلُّ هذا حقٌّ.

وهو أيضًا ﷻ موصوف بالاستواء على العرش فِي سبعة مواضع فِي سورة طه، وسورة الأعراف، وسورة يونس، وسورة الرَّعد، وسورة الإسراء، وسورة لقمان، وسورة تنزيل (السَّجدة)، وسورة الحديد، ومعنى الاستواء: العلو والفوقيَّة، فمعنى استوى عليه أي: ارتفع فوق العرش وعلا عليه، "هو العالي فوق جميع خلقه، والعرش: سقف المخلوقات، واللَّه سبحانه فوق العرش استوى، استواءً يليق بجلاله، لا يعلم كيفيته إلا هو ﷻ.

ولهذا لما سئل الإمام مالك بن أنس رحمه الله إمام دار الهجرة فِي زمانه، وأحد الأئمة الأربعة، قيل له يا أبا عبداللَّه! ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]، كيف استوى؟!، فعظَّم هنا الأمر وعَلَتْهُ الرُّحضاء، يعني: العرق[(١)] من شدة استغراب هذا السؤال! ثُمَّ قال: "الاستواء: معلوم"، أي: أنَّه العلو والارتفاع، والكيف: مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أُراك إلَّا رجل سوء، ثُمَّ أمر بإخراجه»[(٢)].

وقال بهذا المعنى: سفِيان الثَّوري، والأوزاعي، والإمام

(١) انظر لسان العرب (٧/ ١٥٤).

(٢) هذا الأثر أخرجه عنه الدارمي فِي الرد على الجهمية (ص٣٣)، واللالكائي فِي شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة. برقم (٢/ ٣٩٨). والبيهقي فِي الأسماء والصِّفات. برقم (٨٦٧)، وابن عبد البر فِي التمهيد (٧/ ١٥١)، وقال عنه الحافظ ابن حجر في فتح الباري: إسناده جيِّد (١٣/ ٤٠٧)، قال شيخ الإسلام ابن تيمية بعد أن ذكر قول الإمام مالك: ومثل هذا الجواب ثابت عن ربيعة شيخ مالك، وقد روي عن أم سلمة رضي الله عنها موقوفًا ومرفوعًا؛ ولكن ليس إسناده ممَّا يعتمد عليه، وهكذا سائر الأئمة قولهم يوافق مالك: في أنا لا نعلم كيفية استوائه، كما لا نعلم كيفية ذاته. انظر: مجموع الفتاوى (٥/ ٣٦٥).

أحمد، والإمام الشَّافعي، وإسحاق بن راهويه وغيرهم من أئمة الإسلام[(١)].

وهكذا يقال فِي بقيَّة الصِّفات: الرَّحمة معلومة الرِّضا معلوم الغضب معلوم القدرة معلومة اليد معلومة القدم معلومة لكن الكيف مجهول؛ فلا نعلم كيف رحمته، ولا كيف غضبه، ولا كيف يده، ولا كيف قدمه، ولا كيف عينه، لا نعلم الكيفيات، ولا نخوض فيها، بل نثبتها ونُمِرُّها كما جاءت، نقول: إنَّه سميع، بصير، وإنَّ له يدين، كما قال تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المَائدة: ٦٤]، ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [صٓ: ٧٥]، وفِي الحديث الصحيح: «**أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَضَعُ قَدَمَهُ فِي النَّارِ، فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، فَتَقُولُ: قَطِ، قَطِ**»[(٢)].

وبيَّن ﷻ أنَّه يغضب على من عصاه، ويرضى عمَّن أطاعه، يرحم عباده، كل هذه من صفاته -جلَّ وعلا-، «**يَضْحَكُ اللَّهُ إِلَى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الآخَرَ**»[(٣)] فضحكه، ورضاه، وغضبه، وسمعه، وبصره، وسائر صفاته كلّها تليق به لا يشبه خلقه فِي شيء من ذلك، قاعدة: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشُّورىٰ: ١١]، فأهل السُّنَّة والجماعة: يثبتون آيات الصِّفات، وأحاديث الصِّفات إثباتًا بلا تمثيل، وينزهون اللَّه -جلَّ وعلا- عن مشابهة خلقه تنزيهًا

(١) انظر مجموع الفتاوى (٣/ ١٩٥) (٦/ ٣٣٩).
(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أخرجه البخاري، برقم (٤٨٤٩)، (٤٨٥٠)، ومسلم، برقم (٢٨٤٦).
(٣) سبق تخريجه في (ص٢٦).

بلا تعطيل، تنزيهًا معه الإثبات بخلاف أهل البدع.

فالواجب على المؤمن أن يسلك هذا المسلك، وأن يستقيم على قول أهل السُّنَّة، وهم أصحاب النَّبِيّ ﷺ، وأتباعهم بإحسان، كالأئمة الأربعة وغيرهم من أهل السُّنَّة والجماعة.

[إثبات علو اللَّه على خلقه]

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«**وقوله تعالى:** ﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥]، **وقوله:** ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾﴾ [النِّسَاء: ١٥٨]، **وقوله تعالى:** ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥۚ﴾ [فَاطِر: ١٠]، **وقوله تعالى:** ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًاۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٣٧﴾﴾ [غَافر: ٣٦-٣٧]، **وقوله تعالى:** ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًاۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾﴾ [المُلك: ١٦-١٧].

وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَاۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [الحَدِيد: ٤].

وقوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُواْۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾ [المُجَادلة: ٧]، **وقوله:** ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ﴾ [التَّوبَة: ٤٠]، **وقوله تعالى:** ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ [طٰه: ٤٦]، **وقوله:** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النَّحل: ١٢٨].

وقوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الأنفال: ٤٦]، **وقوله:** ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾﴾ [البقرة: ٢٤٩]».

قال الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ:

الآيات الأولى الَّتي ذكرها المؤلف: تتعلق بالعلو، والآيات الأخيرات تتعلق بالمعيَّة، واللَّه -جلَّ وعلا- قد أثبت لنفسه العلو فوق العرش، وأنه فِي السماء -جلَّ وعلا-، وقد أجمع علماء أهل السُّنَّة على أنَّ اللَّه سبحانه فِي العلو، وأنَّه فوق العرش، قد استوى عليه استواءً يليق بجلاله وعظمته.

«**قوله تعالى:** ﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥]، وقوله: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨]» يعني: عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

«**وقوله تعالى:** ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠]» فـ(يَصْعَدُ) و(يَرْفَعُ) دلَّ على العلو، فالأعمال ترفع إليه، والكلم الطيب يصعد إليه.

والملائكة تعرج إليه، قال -جلَّ وعلا-: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾﴾ [المعارج: ٤].

ونبيّنا عليه الصَّلاة والسَّلام عُرِجَ به إليه حتّى جاوز السَّبع الطِّبَاق، وسمع كلام الرَّبِّ -جلَّ وعلا- كل هذا حقٌّ عند أهل السنَّة والجماعة، يجب إثباته لِلَّه -جلَّ وعلا-.

وقوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾﴾ [الملك: ١٦-١٧]»، ومعنى: (فِي السَّمَاءِ): فِي العلو، فالسَّماء

المراد بها العلو، وأن اللَّه -جلَّ وعلا- فيها، وقيل: معنى (السَّماء) السَّموات، ومعنى (فِي) على، يعنى: على السموات، فإن أريد بالسَّماء العلو فالمعنى ظاهر، يعني: أنه فِي العلو -جلَّ وعلا- وإنْ أريد بالسَّماء السَّماء المبنية فالمعنى على السَّماء؛ لأنَّ (في) تأتي بمعنى على، كما قال تعالى عن فرعون: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه: ٧١] يعنى: على جذوع النخل، وقال ﷻ: ﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [التوبة: ٢] يعنى: على الأرض، فالمعنى أنَّه فِي السَّماء وفوقها وعالٍ على كلّ شيء -جلَّ وعلا- وهذا قول أهل السُّنَّة والجماعة قاطبة: أنَّه فِي العلو، وأنَّه فوق العرش، خلافًا للمبتدعة من الخوارج والمعتزلة والجهمية وغيرهم، واللَّه، -جلَّ وعلا- أثبت لنفسه العلو، وأنَّه فوق العرش، وقال أهل البدع: إنَّه في كل مكان؛ وهذا جهل باطل، وكفر وضلال، نسأل اللَّه العافِية، والذي عليه أهل السُّنَّة والجماعة من أصحاب النَّبِيّ ﷺ وأتباعهم بإحسان: أنَّه سبحانه موصوف بأنَّه فوق العرش، وأنَّه استوى عليه، يعني: ارتفع عليه ارتفاعًا يليق بجلاله، لا يشابهه خلقه فِي شيء من صفاته.

فالاستواء: معلوم؛ لأنَّ معناه العلو والارتفاع، والكيف: مجهول، هذا قول أهل الحقِّ: أنَّه في العلو، وأنَّه فوق العرش، وأنَّه استوى عليه استواءً يليق بجلاله وعظمته لا يُشَابِه خلقه في استوائهم، ولا في نزولهم، ولا فِي ضحكهم، ولا في غضبهم، ولا في غير ذلك من الصفات.

والآيات الأخيرة التي أوردها المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ كلُّها فِي المعية الخاصة، والعامة:

«قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ

﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَاۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [الحديد: ٤]» يعلم كلّ شيء -جلَّ وعلا- فِي السموات وفِي الأرض، وما مضى وما يأتي، يعلم كل شيء، وهو مع عباده بعلمه أينما كانوا لا يخفى ولا يشذ عنه شيء، كما قال تعالى: ﴿لِّتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق: ١٢]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٥﴾﴾ [الأنفال: ٧٥].

«**قوله تعالى**: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُواْۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾ [المجادلة: ٧]» افتتح الآية هذه بالعلم فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۖ﴾ [المجادلة: ٧]، وختمها بالعلم فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾؛ ليعلم القارئ والسامع أنَّ المراد العلم، وأنَّه فوق العرش -جلَّ وعلا- ولا يخفى عليه خافية -جلَّ وعلا-

وفِي المعيَّة الخاصة «قوله تعالى: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ﴾ [التوبة: ٤٠]»، هذا يقوله النَّبيّ ﷺ لأبي بكر الصديق رضي الله عنه وهما فِي الغار، «قوله تعالى: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ [طه: ٤٦]» لموسى وهارون عليهما السلام وقم بين يدي فرعون، وقد صانهما اللَّه وحماهما من شره «وقوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الأنفال: ٤٦]، وقوله: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾﴾ [البقرة: ٢٤٩]» فهذه كلها معية خاصة مع أوليائه، وأهل طاعته وأنبيائه بعلمه وإحاطته، ونصره وتأييده.

فالمعيَّة العامة: تتضمن العلم والإحاطة بكلِّ شيء، وأنَّه لا تخفى عليه خافِية، وأنَّه مُصَرِّفُهُم ومُدَبِّرُهُم.

والمعيَّةُ الخَاصَّة: كلاءته لأوليائه ونصره لهم وحمايته لهم.

فاللَّه سبحانه لا تخفى عليه خافِية، يعلم سرّهم ونجواهم، وهو فوق العرش، وعلمه محيط بكل شيء، يعلم ويرى دبيب النَّملة السوداء فِي اللَّيلة الظلماء على الصخرة الصماء، ويعلم كيف تجري مياه الأنهار والبحار، وما يكون داخل ذلك، وما فِي جميع أرجاء الأرض، وما تُكِنُّهُ الضمائر كل ذلك لا يخفى عليه ﷻ، كما قال -جلَّ وعلا-: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ [يُونس: ٦١]، أي: حين تشرعون فِيه، قال -جلَّ وعلا-: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾﴾ [الحَجّ: ١٧]، وقال سبحانه: ﴿لِّتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾ [الطَّلَاق: ١٢]، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٥﴾﴾ [الأنفَال: ٧٥] وقال: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾ [فَاطِر: ١١].

فعلمه محيط بالخلق، فهو يعلم أحوال الأمم، وما يأتي فِي آخر الزمان، وما يكون فِي يوم القيامة، وما مضى فِي سَالِف الأزمان، كلّ ذلك لا يخفى عنه؛ بل هو يعلمه ومحيط به -جلَّ وعلا- فعُلُّوه سبحانه مع كامل علمه يجب إثباته له ﷻ مع تنزيهه وتقديسه عن مشابهة خلقه فِي شيء من صفاته -جلَّ وعلا- هذا قول أهل الحقِّ - أهل السُّنَّة والجماعة -.

❋ ❋ ❋

[صفة الكلام والقول لِلَّه تعالى]

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«**قوله تعالى:** ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾﴾ [النِّسَاء: ٨٧]، وقوله: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾﴾ [النِّسَاء: ١٢٢]، **وقوله تعالى:** ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ [المَائدة: ١١٠]، **وقوله تعالى:** ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۖ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾﴾ [الأنعَام: ١١٥]، **وقوله تعالى:** ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ [النِّسَاء: ١٦٤]، **وقوله تعالى:** ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعرَاف: ١٤٣].

وقوله تعالى: ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾﴾ [مَريَم: ٥٢]، **وقوله تعالى:** ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾﴾ [الشُّعَرَاء: ١٠]، **وقوله تعالى:** ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الأعرَاف: ٢٢]، **وقوله تعالى:** ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [القَصَص: ٦٥]، **وقوله تعالى:** ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ﴾ [التَّوبَة: ٦]، **وقوله تعالى:** ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [البَقَرَة: ٧٥]، **وقوله تعالى:** ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ﴾ [الفَتْح: ١٥]، **وقوله تعالى:** ﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ [الكهف: ٢٧].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى

هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [النمل: ٧٦]، **وقوله تعالى:** ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾ [الأنعام: ٩٢]، **وقوله تعالى:** ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [النحل: ١٠١-١٠٣].

وقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]، وقوله تعالى: ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [المطففين: ٢٣]، **وقوله تعالى:** ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، **وقوله تعالى:** ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾ [ق: ٣٥]، **وَهَذَا الْبَابُ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى كَثِيرٌ.**

وَمَنْ تَدَبَّرَ الْقُرْآنَ طَالِبًا لِلْهُدَى مِنْهُ؛ تَبَيَّنَ لَهُ طَرِيقُ الْحَقِّ».

قال الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذه الآيات الكريمات كُلُّها فِي إثبات صفات اللَّه ﷻ، وهذه جملة من الآيات فِي بيان كلام اللَّه ﷻ، قال ويقول، وتَكَلَّمَ، ويتكلم:

قال تعالى: «﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾﴾ [النساء: ٨٧]، ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١١٠]، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾﴾ [النساء: ١٢٢]، ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [الفتح: ١٥]، ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ [النساء: ١٦٤]» إلى غير هذا.

فالآيات في هذا كثيرةٌ فِي إثبات كلامه وندائه، ونجيِّه قال ﷻ: «﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [القَصَص: ٦٥]، وقال: ﴿وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾﴾ [مَريَم: ٥٢]».

فهو سبحانه تَكلَّم ويتكلَّم إذا شاء، ونادى ويُنادي إذا شاء ﷻ، وكلَّم من شاء من عباده، كما كلَّم موسى عليه السلام ويُكَلِّم أهل الجنَّة، وكَلَّم محمدًا ﷺ ليلة المعراج.

ولقد أَنزل القرآن، ونزَّل الوحي على الأنبياء عليهم السلام وهو فِي العلو -جلَّ وعلا- ونَزَّل كتابه من أعلى، قال تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [النّحل: ١٠٢]، فهو سبحانه فِي العلو، وأنزل كُتُبَه التوراة والإنجيل، والقرآن، والزَّبور كُلُّها منزلة من عند اللَّه، كلّ هذا يجب إثباته لِلَّه، وأنَّه أصدق قيلاً من خلقه ﷻ، وإثبات ما بيَّنه لعباده من إنزال كتابه القرآن، وأنَّه هُدىً للنَّاس، وأنَّه أنزله باللُّغة العربيَّة، وأنَّه يقص على بني إسرائيل أكثر الَّذي هم فِيه مختلفون كلُّ هذا حقٌّ، يجب الإيمان به وبكل ما أخبر اللَّه به، ورسوله ﷺ من جهة كلامه، وندائه، وقوله، وتنزيل كتبه على الأنبياء عليهم السلام فأهل السُّنَّة والجماعة يثبتون هذه الصِّفات لِلَّه على ما يليق بجلاله.

أمَّا قول أهل الكلام: «أنَّ كلام اللَّه تعالى قديمٌ» فهذا باطل، بل تكلَّم اللَّه سبحانه ويتكلَّم إذا شاء.

«**وقوله تعالى:** ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾﴾ [القِيَامَة: ٢٢]»، من النَّضارة والحُسن، «﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القِيَامَة: ٢٣]» من النظر، وهكذا «قوله -جلَّ وعلا-: ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [المطفّفين: ٢٣]، وقوله: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يُونس: ٢٦]»، الزيادة هي: النَّظر إلى وجه اللَّه -

جلَّ وعلا- فهذه كُلُّها حقٌّ، فهو سبحانه ينظر إلى عباده المؤمنين، ويَنظرون إليه يوم القيامة في الجنَّة، كل هذا حقٌّ، وهذا الباب فِي كتاب اللَّه كثير.

وهكذا فِي السُّنَّة الصَّحيحة كثير، من تدبر الكتاب وتدبَّر السُّنَّة، وجد ذلك واضحًا، فِي إثبات الصِّفات كلها لِلَّه ﷻ من العلم، والقدرة، والكلام، والعلو، والرضا، والغضب، والضحك وغير هذا من صفاته -جلَّ وعلا- فيجب إثباتها لِلَّه على الوجه اللَّائق به، وإمرارها كما جاءت، من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، هذا الباب واحد عند أهل السُّنَّة والجماعة بإثبات أنَّها حقٌّ، ومعناها حقٌّ، وهي حقٌّ؛ ولكن لا يعلم كيفِيتها إلَّا هو ﷻ، مع العلم والإيمان بأنها لا تشابه صفات المخلوقين: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشّورىٰ: ١١].

كما أنَّ ذاته -جلَّ وعلا- لا تشابه ذواتهم، فهكذا صفاته لا تشبه صفاتهم.

❋ ❋ ❋

[الإيمان بما وصف به الرسول ﷺ ربَّه ﷻ]

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«ثُمَّ سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تُفَسِّرُ الْقُرْآنَ، وَتُبَيِّنُهُ، وَتَدُلُّ عَلَيْهِ، وَتُعَبِّرُ عَنْهُ.

وَمَا وَصَفَ الرَّسُولُ بِهِ رَبَّهُ، مِنَ الْأَحَادِيثِ الصِّحَاحِ الَّتِي تَلَقَّاهَا أَهْلُ الْمَعْرِفَةِ بِالْقَبُولِ؛ وَجَبَ الْإِيمَانُ بِهَا كَذَلِكَ».

قال الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ:

دلَّت السنة كما دلَّ القرآن على إثبات الصِّفات والأسماء لِلَّه سبحانه، وأنَّه -جلَّ وعلا- مسمَّى بالأسماء الحسنى، وموصوفٌ بالصِّفاتِ العُلَى.

فإنَّ سنَّة رسول اللَّه ﷺ الصَّحيحة تُفَسِّرُ القرآن وتُبَيِّنُه، وتدلُّ عليه، وتعبر عنه، كما دلَّ عليه القرآن؛ لأنَّ اللَّه -جلَّ وعلا- قال: ﴿ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [النُّور: ٦٢]، وقال تعالى: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ [النِّسَاء: ٥٩]، وقال -جلَّ وعلا-: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النَّجْم: ١-٤].

فما ثبت فِي السُّنَّةِ الصَّحيحة حكمه حكم ما ثبت فِي القرآن؛ يجب إثباته لِلَّه، والإيمان بأنَّه وصف لِلَّه، واسم لِلَّه على الوجه اللَّائق به، من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل.

[إثبات صفة النزول والفرح والضحك والعجب والقَدَم والرِّجل للَّه تعالى]

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«فمن ذلك، مثل قوله ﷺ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ، حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخرُ، فَيقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَاسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِّي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي، فَأَغْفِرُ لَهُ؟» متفق عليه(١).

وقوله ﷺ: «لَلَّه أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ الْمُؤْمِن التَّائِبِ مِنْ أَحَدِكُمْ بِرَاحِلَتِهِ» الحديث متفق عليه(٢).

وقوله ﷺ: «يَضْحَكُ اللَّهُ إِلَى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الآخَرَ، كِلاهُمَا يَدْخلُ الجَنَّة» متفق عليه(٣).

وقوله ﷺ: «عَجِبَ رَبُّنَا مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ، وَقُرْبِ غِيَرِهِ يَنْظُرُ إِلَيْكُمْ أَزِلِينَ قَنِطِينَ، فَيَظَلُ يَضْحَكُ؛ يَعْلَمُ أَنَّ فَرَجَكُمْ قَرِيبٌ» حديث حسن(٤).

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أخرجه البخاري برقم (٧٤٩٤)، ومسلم برقم (٧٥٨).

(٢) روي هذا اللفظ فِي الصحيحين، عن عدد من الصَّحابة، منهم ابن مسعود رَحِمَهُ اللَّهُ أخرجه البخاري: برقم (٦٣٠٨)، ومسلم برقم (٢٧٤٤)، كما أخرجاه عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، البخاري: برقم (٦٣٠٩)، ومسلم برقم (٢٧٤٧).

(٣) سبق تخريجه في (ص٢٦).

(٤) الحديث عن أبي رزين العقيلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أورده ابن كثير عند تفسيره قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ﴾ [البَقَرَة: ٢١٤]، وأخرجه ابن ماجه عنه فِي كتاب السُّنَّة، باب فِيما أنكرت الجهمية. برقم (١٨١) بلفظ: «**ضَحِكَ رَبُّنَا**» وقد حسنه الشيخ الألباني في الصَّحيحة: برقم (٢٨١٠) بلفظ: «**ضحك**».

وقوله ﷺ: «لاتَزَالُ جَهَنَّمُ يُلْقَى فِيهَا، وَهِيَّ تَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيد؟ حَتَّى يَضَعَ رَبُّ الْعِزَّةِ فِيهَا رِجْلَهُ» وفي رواية: «عَلَيْهَا قَدَمَهُ؛ فِينْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، فَتَقُولُ: قَطِ، قَطِ» متفق عليه[1].

قال الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله ﷺ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ، حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخرُ، فَيقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَاسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِّي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرُ لَهُ؟ حَتَّى يَنْفَجِرَ الفَجْرُ» متفق عليه.

أهل السُّنَّة يثبتون هذا النزول وصفًا لِلَّه، وهو نزول يليق باللَّه، لا يشابه خلقه في نزولهم؛ فإنَّ العبد ينزل من أعلى إلى أسفل؛ لكن النزول غير النزول، نزول اللَّه غير نزول عبده.

وهكذا القول: «فَيقول» اللَّه، وليس القول كالقول، وليس النداء كالنداء، وليس الكلام كالكلام، صفات اللَّه تليق به، وهو -جلَّ وعلا- يستجيب للداعي بقوله: «مَنْ يَدْعُونِي فَاسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِّي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرُ لَهُ؟» فهو الجواد الكريم ﷻ، وهو الغفور الرَّحيم، فيجب إثبات هذه الصِّفات لِلَّه على الوجه اللَّائق به ﷻ.

قوله ﷺ: «اللَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضٍ فَلاةٍ، فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ...»، فالفرح وصف لِلَّه يليق به تعالى، يفرح لا كفرح المخلوقين، ويرضى لا كرضاهم، ويغضب لا

(١) سبق تخريجه في (٥١)، وأمَّا رواية صفة «الرِجْلِ» فقد أخرجها الشيخان، أيضًا من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، البخاري برقم (٤٨٥٠)، ومسلم برقم (٢٨٤٦).

كغضبهم.

فالإنسان الَّذي ذهبت منه ناقته وهو فِي أرض فلاة، واضطجع تحت شجرة ينتظر الموت، ثُمَّ وجد الرَّاحلة عند رأسه فقال: مِنْ شِدَّةِ الفَرَحِ: «**اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي، وَأَنَا رَبُّكَ أَخْطَأَ» مِنْ شِدَّةِ الفَرَحِ**، فاللَّه سبحانه أفرح بتوبة عبده من هذا براحلته، مع أنَّه هو الَّذي تَفَضَّل بها، وهو الَّذي يَمَنُّ بها، ثم يفرح بها من عبده، فهو المنَّان بها والموفِّق لها.

قوله ﷺ: «**يَضْحَكُ اللَّهُ إِلَى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الآخَرَ كِلاهُمَا يَدْخلُ الجَنَّة**»، ضحك يليق باللَّه، لا يُشَابِه خلقه فِي صفاتهم وضحكهم؛ بل صفات اللَّه تليق به وتناسبه -جلَّ وعلا-.

قوله ﷺ: «**عَجِبَ رَبُّنَا مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ، وَقُرْبِ غِيَرِهِ**» أي: تَغَيير الأمور، الإنسان قد يقنط ويأس من شدة الجدب، وفرج اللَّه قريب، «**يَنْظُرُ إِلَيْكُمْ أَزِلِينَ قَنِطِينَ، فَيَظَلُ يَضْحَكُ؛ يَعْلَمُ أَنَّ فَرَجَكُمْ قَرِيبٌ**».

قوله ﷺ: «**لا تَزَالُ جَهَنَّمُ يُلْقَى فِيهَا، وَهِيَّ تَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؟ حَتَّى يَضَعَ الجَبَّارُ فِيهَا رِجْلَهُ**»، وفِي رواية: «**قَدَمَهُ؛ فِينْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، فَتَقُولُ: قَطْ، قَطْ**»؛ أي: حسبي حسبي، ففيه إثبات القدم والرِّجل لِلَّه تعالى على الوجه اللَّائق به، فهو سميع، بصير، له يد، وله قدم، كلُّها صفات تليق به، لا يُشَابِه خلقه فيها، فصفاتُ اللَّه وأسماؤه تليق به، وصفات المخلوقين تليق بهم، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١]، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: ٤]، ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٧٤﴾ [النّحل: ٧٤].

هكذا قال أهل السُّنَّة والجماعة فِي جميع الصِّفات، بابها واحد، خلافًا للجهمية، والمعتزلة، والأشعرية، وغيرهم ممن ألحَد فِي صفات اللَّه، فالجهمية: نفوا أسماء اللَّه وصفاته جميعًا، والمعتزلة: نفوا الصِّفات، وأثبتوا الأسماء المجردة من المعاني، والأشعرية وطوائف أخرى: نفوا بعضًا وأثبتوا بعضًا.

والصَّواب: هو إثبات جميع ما جاء فِي الكتاب والسُّنَّة من أسماء اللَّه وصفاته، كلُّ ما صحَّ به الخبر عن رسول اللَّه ﷺ فهو مثل ما جاء فِي القرآن، يجب إثباته لِلَّه على الوجه اللَّائق به ﷻ، من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.

❊ ❊ ❊

[إثبات صفة الكلام والصوت والاستواء والمعية]

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وقوله ﷺ: يَقُولُ اللَّه ﷻ: يَا آدَمُ، فيقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ! فِينَادِي بِصَوْتٍ: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُخْرِجْ مِنْ ذُرِيَتَكَ بَعْثًا إِلَى النَّارِ» متفق عليه(١).

وقوله ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِن أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ»(٢).

وقوله ﷺ فِي رقية المريض: «رَبُّنَا اللَّهُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ، تَقَدَّسَ اسْمُكَ، أَمْرُكَ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، كَمَا رَحْمَتُكَ فِي السَّمَاءِ اجْعَل رَحْمَتَكَ فِي الأَرْضِ، اغفِرْ لَنَا حُوبَنَا وَخَطَايَانَا، أَنْتَ رَبُّ الطَّيِّبِينَ، أَنْزِلْ رَحْمَةً مِن رَحْمَتِكَ، وَشِفَاءً مِن شِفَائِكَ عَلَى هَذَا الوَجَعِ، فيبْرَأُ» حديث حسن، رواه أبو داود وغيره(٣).

---

(١) هذا طرف من حديث طويل متفق عليه عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أخرجه البخاري عدة مواضع منها: برقم (٣٣٤٨)، رقم (٤٧٤١)، ومسلم برقم (٢٢٢).

(٢) متفق عليه من حديث عدي بن حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أخرجه البخاري: فِي عدة مواضع، برقم (٧٤٤٣)، ومسلم برقم (١٠١٦).

(٣) سنن أبي داود برقم (٣٨٩٢)، والنسائي في السنن الكبرى برقم (١٠٨٧٦)، والحاكم فِي المستدرك برقم (١٢٧٢) (١/ ٣٤٤) عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذه الأحاديث من جملة الأحاديث الواردة في الصِّفات، ومراد المؤلف أن يذكر نموذجًا من الآيات والأحاديث الواردة في الصِّفات حتَّى يعرف المسلم ما وراءها.

قوله ﷺ: «**يَقُولُ تَعَالَى: يَا آدَمُ! فيقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ! فينَادِي بِصَوْتٍ: إِنَّ اللَّهَ يَأمُرُكَ أَن تُخْرِجَ مِن ذُرِيَتَكَ بَعْثًا إِلَى النَّارِ**»، فهذا فِيه إثبات الصَّوت لِلَّه، وأنَّه سبحانه له صوت يُسْمَع، تَسْمَعه الملائكة، وسَمِعه موسى عليه السلام وسَمِعه محمد ﷺ ليلة المعراج.

قوله: «**إِنَّ اللَّهَ يَأمُرُكَ أَن تُخْرِجَ بَعْثَ النَّارِ**»، **جاء فِي الحديث**: «**مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تُسعُ مَائة وَتِسعَةٌ وَتِسعُونَ**» هذا بعث النَّار، لا ينجو إلا واحد من الألف، وتسع مائة وتسع وتسعون بعث النَّار، هذا يدلُّ على عظم الخطر؛ ولهذا قال -جلَّ وعلا-: ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ١٠٣﴾ [يُوسُف: ١٠٣]، وقال -جلَّ وعلا-: ﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ [الأنعام: ١١٦]، وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدۡ صَدَّقَ عَلَيۡهِمۡ إِبۡلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢٠﴾ [سَبَإ: ٢٠].

ولمَّا سمع الصَّحابة هذا الأمر - من كلِّ ألف تسع مائة وتسعة وتسعون - عَظُم عليهم الأمر، قال -عليه الصَّلاة والسَّلام- فِي تكملة الحديث: «**وأبشروا؛ فإن منكم رجلا ومن يأجوج ومأجوج ألفا**»، فهذا يدلُّ على أن الدَّاخلين فِي النَّار من يأجوج ومأجوج، الَّذين هم من أخبث النَّاس ويخرجون فِي آخر الزَّمان.

قوله ﷺ: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ**

تُرْجُمَانٌ، يعني: واسطة **فَينظُر أَيْمَنَ مِنْهُ فَلا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ تِلقَاءَ وَجهِهِ؛ فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَو بِشِقِّ تَمرَةٍ، فَمَن لَم يَجِد وَلَو بِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ»**[1] متفق على صحته.

هذا يدلُّ على أنَّ التَّكليم عام يوم القيامة «**مَا مِنْكُمْ مِن أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ**»، لكن أهل الشَّر يكلِّمهم اللَّه - -جلَّ وعلا- كلامًا يضرهم، كلام غضب عليهم، وأهل الخير كلامًا يَسرّهم.

❋ ❋ ❋

(١) جزء مكمل لحديث عدي بن حاتم الَّذي سبق تخريجه فِي المتن.

[إثبات علو اللَّه فوق عرشه
لا ينافي قُربه ومعيَّته مع خلقه]

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وقوله ﷺ: «أَلا تَأْمَنُونِي، وَأَنَا أَمِينُ مَن فِي السَّمَاءِ» حديث صحيح[(١)].

وقوله ﷺ: «وَالعَرْشُ فَوْقَ المَاءِ، وَاللَّهُ فَوْقَ العَرْشِ، وَهُوَ يَعْلَمُ مَا أَنْتُم عَلَيْهِ» حديث حسن، رواه أبو داود وغيره[(٢)]، وقوله ﷺ للجارية: «أَيْنَ اللَّهُ؟ قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ، قَالَ: مَن أَنَا؟ قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، قَالَ: اعْتِقهَا، فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ» رواه مسلم[(٣)]، وقوله ﷺ:

---

(١) متفق عليه: من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أخرجه البخاري: برقم (٤٣٥١)، ومسلم: برقم (١٠٦٤).

(٢) لم أجده مرفوعًا باللَّفظ المذكور، لا عند أبي داود ولا غيره، وإنَّما وجدته موقوفًا على ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وإن كان لمثله حكم الرفع. أخرجه البخاري في كتاب (خلق أفعال العباد) برقم (٨٩)، والدارمي في الرَّد على الجهمية، برقم (٨١) (ص٥٥)، وابن خزيمة: في التوحيد برقم (١٤٩)، والبيهقي: في الأسماء والصَّفات، برقم (٨٥١)، وقال الذهبي في كتاب العلو: إسناده صحيح، ووافقه الألباني في تعليقه على مختصر العلو. برقم (٤٨) (ص ١٠٣)، وأمَّا رواية أبي داود برقم (٤٧٢٦) فهي عن جبير بن مطعم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، في حديث الأوعال الطويل، وفيه: «**إِنَّ اللَّهَ فَوْقَ عَرْشِهِ، وَعَرْشُهُ فَوْقَ سَمَوَاتِهِ**»، كما أخرجه بلفظ آخر عن العباس بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، في قصة الأوعال. برقم (٤٧٢٣ ـ ٤٧٢٥)، وابن ماجه، برقم (١٩٣).

(٣) أخرجه مسلم: في حديث طويل عن معاوية بن الحكم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، برقم (٥٣٧).

«أَفْضَلُ الإِيمَانِ أَن تَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ مَعَكَ حَيْثُمَا كُنْتَ» حديث حسن[١].

وقوله ﷺ: «إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَلا يَبْصُقُ قِبَلَ وَجْهِهِ وَلَا عَن يَمِينِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ قِبَلَ وَجهِهِ وَلَكِن عَن يَسَارِهِ، أَو تَحتَ قَدَمِهِ» متفق عليه[٢].

وقوله ﷺ: «اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ [السَّبعِ]، وَرَبَّ الأَرْضِ، وَرَبَّ العَرْشِ العَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الحَبِّ وَالنَّوَى، وَمُنَزِلَ التَّورَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالقُرآنِ[٣]، أَعُوذُ بِكَ مِن شَرِّ [نَفسِي] وَمِن شَرِّ كُلِّ [دَآبَّةٍ] أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا، أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيءٌ، وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ البَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيءٌ، اقضِ عَنِّي[٤] الدَّيْنَ، وَأَغنِنِي[٥] مِن الفَقْرِ» رواه مسلم[٦]».

وقوله ﷺ لما رفع الصَّحابة رضي الله عنهم أصواتهم بالذِّكر: «أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ؛ فَإِنَّكُمْ لا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلا غَائِبًا، إِنَّمَا تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا قَرِيبًا[٧] إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِن عُنُقِ

---

(١) أخرجه الطبراني من حديث عبادة بن الصَّامت رضي الله عنه في المعجم الأوسط. برقم (٨٧٩١) (٨/ ٣٣٦)، وفي مسند الشاميين برقم (٥٣٥) وبرقم (١٤١٦)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد برقم (٢٠٤): «تفرد به عثمان بن كثير ولم أر من ذكره بثقة ولا بجرح».

(٢) أخرجه عن عبداللَّه بن عمرو رضي الله عنهما البخاري: برقم (٤٠٦)، ومسلم: برقم (٥٤٧).

(٣) لفظ مسلم: «**والفرقان**» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، برقم (٢٧١٣).

(٤) لفظ مسلم: «**عنَّا**».

(٥) لفظ مسلم: «**وأغننا**».

(٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، برقم (٢٧١٣).

(٧) إلى هذا القدر هو المتفق عليه، من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، أخرجه البخاري: برقم (٢٩٩٢)، (٦٣٨٤)، ومسلم برقم (٢٧٠٤).

رَاحِلَتِهِ» متفق عليه[١].

وقوله ﷺ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا القَمَرَ لَيْلَةَ البَدْرَ[٢] لا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن لا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَصَلَاةٍ قَبْلَ غُرُوبِهَا، فَافْعَلُوا» متفق عليه[٣].

إِلَى أَمْثَالِ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ الَّتِي يُخْبِرُ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ عَنْ رَبِّهِ؛ بِمَا يُخْبِرُ بِهِ».

قال الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله -عليه الصَّلاة والسَّلام-: «**أَلا تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينُ مَن فِي السَّمَاءِ**» يعني: فِي العلو، وهكذا قوله ﷺ: «**رَبُّنَا اللَّهُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ**» يعني: فِي العلو، «أَنزِلْ رَحْمَتَكَ» هذا يدلُّ على العلو.

هكذا قوله -عليه الصَّلاة والسَّلام- فِي حديث الأوعال[٤]: «**وَالعَرْشُ فَوْقَ المَاءِ، وَاللَّهُ فَوْقَ العَرْشِ، وَهُوَ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ**» مثل ما تقدَّم فِي قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥].

وهكذا قوله ﷺ: «**إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَى الصَّلاةِ، فَلا يَبْصُقُ قِبَلَ وَجْهِهِ، وَلَا عَن يَمِينِهِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ قِبَلَ وَجْهِهِ، وَلَكِن عَن يسَارِهِ أَو تَحْتَ قَدَمِهِ**»؛ فاللَّه فوق العرش، وهو قبل وجه المصلي، لا منافاة

---

(١) هذه الزيادة من صحيح مسلم.

(٢) لا توجد هذه اللفظة في الصحيحين في الحديث المذكور.

(٣) من حديث جرير بن عبداللَّه أخرجه البخاري: برقم (٥٥٤)، ومسلم: برقم (٦٣٣)، واللَّفظ له.

(٤) الأوعال: الأشراف والرؤوس. نسبتهم بالوعول التي لا ترى إلا في رؤوس الجبال، الوعل: تيوس الجبل. انظر: غريب الحديث، لابن الجوزي (٢/ ٤٧٧)، ولسان العرب (١١/ ٧٣١).

في ذلك، فهو معنا أينما كنا، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحَديد: ٤].

وقوله ﷺ: «**أَفْضَلُ الإِيمَانِ أَن تَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ مَعَكَ حَيثُ مَا كُنتَ**»، فهو معه بعلمه وإحاطته، وهو فوق السَّماوات فوق العرش بذاته -جلَّ وعلا- في العلو.

فالواجب على أهل الإسلام أن يعلموا هذا الأمر، وأنَّ اللَّه مع عباده بعلمه، وإحاطته، ومع أوليائه بعلمه وكَلاءته، وحفظه وعنايته ﷻ، وهو فوق العرش، فوق جميع الخلق، قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعرَاف: ٥٤]، فهو فوق العرش -جلَّ وعلا- وعلمه في كلِّ مكان ﷻ.

قوله ﷺ: «**اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرضِ، وَرَبَّ العَرْشِ العَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيءٍ، فَالِقَ الحَبِّ وَالنَّوَى، مُنزِّلَ التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ، وَالفُرقَانِ، أَعُوذُ بِكَ مِن شَرِّ نَفسِي، وَمِن شَرِّ كُلِّ دَابَّةٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا، أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ البَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ، وَاغنِنَا مِن الفَقْرِ**».

في هذا الحديث العظيم أنواع من الصِّفات، كونه فوق العرش، وكونه ربُّ السَّماوات، وربُّ الأرض، وكونه منزل التَّوراة والإنجيل والقرآن، كلّ هذا يدلُّ على علوه ﷻ، وأنَّه ينزل منه الأمر والوحي، وهو فوق العرش -جلَّ وعلا- فوق جميع الخلق ﷻ.

وكون جميع النَّواصي يصرفها كيف يشاء ﷻ، وكونه هو الأول

فليس قبله شيء، والآخر فليس بعده شيء، والظَّاهر فليس فوقه شيء، والباطن فليس دونه شيء، كما جاء فِي القرآن العظيم: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [الحَديد: ٣].

فهو الأول ليس قبله شيء، والآخر ليس بعده شيء، وهو الدَّائم الكامل لم يَزَل موجودًا ﷻ، لم يسبقه شيء، ولا يلحقه عدم؛ بل هو دائم أبدًا، وهو الظَّاهر: الَّذي قد ارتفع فوق جميع الخلق، فليس فوقه شيء فِي الأعلى -جلَّ وعلا- فهو فوق العرش، والعرش: سقف المخلوقات، وهو الباطن: فليس دونه شيء، لا يحجبه شيء، يعلم أحوال عباده، ويعلم ما فِي الضمائر، وهذا الدُّعاء فِيه وسيلة في طلب قضاء الدَّين والإغناء من الفقر.

كذلك حديث الرؤية: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا القَمَرَ لَيْلَةَ البَدْرَ لا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن لا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَصَلَاةٍ قَبْلَ غُرُوبِهَا، فَافْعَلُوا**» متفق عليه[(١)]، تُضَامُون: من الضَّيم، ويُروى "تَضَامُّون" من التضام، يعني: لا تتضامون؛ لأنَّ الرُّؤية بارزة لا تحتاج إلى تضام، فالشَّيء الخفِي قد ينضم النَّاس بعضهم إلى بعض، كلّ يقول: دعني انظر، دعني انظر؛ لأجل الخفاء، أمَّا رؤيته سبحانه فهي بارزة واضحة، كالشَّمس ليس دونها سحاب، كلٌّ يراه وهو في مكانه من غير مشقة.

كذلك الحديث الَّذي فِيه أنَّهم لما رفعوا أصواتهم قال عليه الصلاة والسلام: «**أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ؛ فَإِنَّكُمْ لا تَدْعُونَ**

(١) من حديث جرير بن عبداللَّه أخرجه البخاري: برقم (٥٥٤)، ومسلم: برقم (٦٣٣)، واللَّفظ له.

أَصَمَّ وَلا غَائِبًا» فبيَّن لهم أنَّه سبحانه يسمع كلام عباده ودعاءهم، فلا يحتاج إلى رفع الصَّوت المخالف للشَّرع، بل يكون الرَّفع وسطًا، أن لا يبالغوا فِي الرفع إلَّا فِي التلبية فهذا مستثنى؛ فقد جاء رفع الصَّوت في التَّلبية.

ولهذا قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ﴾ [البَقَرَة: ١٨٦]؛ وهنا قال: «**إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِن عُنُقِ رَاحِلَتِهِ**»(١).

فهو سبحانه قريب لا يحتاج إلى المبالغة في رفع الأصوات بالذكر؛ ولكن إظهارها أحيانًا من باب الذِّكر لِلَّه، لا من باب أَنَّه يحتاج إلى ذلك؛ كما يرفع النَّاس أصواتهم بالتَّلبية إظهارًا لذكر اللَّه ﷻ، وإلَّا فهو سبحانه يعلم السِّرَ وأخفى، ويسمع أصوات عباده وإن أخفوها، لا تخفى عليه خافية، سميع قريب، يسمع أصواتهم وإن خفضوها، ويعلم أحوالهم وإن أسرُّوها، لا تخفى عليه خافية -جلَّ وعلا- مع كونه فوق العرش، فوق جميع الخلق ﷻ، فهذه عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة، خلافًا لعقيدة أهل البدع.

❋ ❋ ❋

(١) سبق تخريجه في (ص٧٢).

[وسطية أهل السنة]

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«فَإِنَّ الْفِرْقَةَ النَّاجِيَةَ أَهْلَ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ يُؤْمِنُونَ بِذَلِكَ.

كَمَا يُؤْمِنُونَ بِمَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ، مِنْ غَيْرِ: تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ: تَكْيِيفٍ وَلَا تَمْثِيلٍ.

بَلْ هُمُ الْوَسَطُ فِي فِرَقِ الْأُمَّةِ؛ كَمَا أَنَّ الْأُمَّةَ هِيَ الْوَسَطُ فِي الْأُمَمِ.

فَهُمْ وَسَطٌ فِي: بَابِ صِفَاتِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بَيْنَ أَهْلِ التَّعْطِيلِ «الْجَهْمِيَّةِ»، وَبَيْنَ أَهْلِ التَّمْثِيلِ «الْمُشَبِّهَةِ».

وَهُمْ وَسَطٌ فِي: بَابِ أَفْعَالِ اللَّهِ تَعَالَى بَيْنَ «الْقَدَرِيَّةِ»، «وَالْجَبْرِيَّةِ».

وَفِي: بَابِ وَعِيدِ اللَّهِ بَيْنَ «الْمُرْجِئَةِ»، وَبَيْنَ «الْوَعِيدِيَّةِ» مِنَ «الْقَدَرِيَّةِ» وَغَيْرِهِمْ.

وَفِي: بَابِ الْإِيمَانِ وَالدِّينِ بَيْنَ «الْحَرُورِيَّةِ» «وَالْمُعْتَزِلَةِ»، وَبَيْنَ «الْمُرْجِئَةِ» «وَالْجَهْمِيَّةِ».

وَفِي: أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ «الرَّوَافِضِ»، وَبَيْنَ «الْخَوَارِجِ»».

قال الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ:

عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة عقيدة مستقيمة، وسط في هذا الباب وغيره؛ فهم وسط في الأمة كما أنَّ الأمَّة هي وسط بين الأمم؛ فأهل السُّنَّة وسط فِي هذا الباب، يثبتون صفات اللَّه وأسماءه، من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل، يعني: يُمِرُّونَها كما جاءت، ولا يحرفونها، ولا يعطلونها، ولا يمثلون صفات اللَّه بصفات خلقه، كما تفعل الجهميَّة، والمعتزلة، بل يقولون نثبت صفات اللَّه وأسماءه على الوجه اللَّائق بجلال اللَّه، من غير تكييف لها، ولا تمثيل، فهم وسط في باب صفات اللَّه بين أهل التَّعطيل الجهمية، وأهل التَّمثيل المشبِّهة.

أمَّا الجهمية: فيعطلون صفات اللَّه وأسماءه، والمشبِّهة: يثبتونها ويقولون: يدٌ كيدي، وصوت كصوتي، وقدَمٌ كقدمي، يُمَثِّلُون وهذا منكر عظيم، وكفر وضلال، فأهل السُنَّة وسط بين أهل التَّعطيل الجهميَّة، وبين أهل التمثيل المشبِّهة، وهم وسط في باب «أفعال اللَّه» بين الجبرية والقدريَّة.

كذلك أهل السنة وسط فِي: «وعيد اللَّه» بين الوعيدية الَّذين يقولون: إنَّ وعيد اللَّه نافذ، وبين المرجئة: الَّذين يُرجِؤون الأعمال، ويرون أن الإيمان إنَّما هو قول، واعتقاد، وأمَّا العمل فليس من الإيمان، والوعيديَّة يُمضون وعيد اللَّه - وهم المعتزلة - ويقولون: إنَّ صاحب الكبيرة مخلد في النَّار إذا مات على المعاصي! والمرجئة يقولون: لا يضر مع الإيمان ذنب؛لأنَّهم يرون أنَّ العمل ليس من الإيمان، فَيرون قول العبد، وتصديقَه كافٍ.

ويقول الوعيدية من المعتزلة والخوارج الإيمان: قول، وعمل، واعتقاد؛ لكن لا يزيد، ولا ينقص، فمن مات على المعاصي صار من أهل النَّار خالدًا مخلدًا فِيها، وتزيد الخوارج: أَنَّه يكفر بذلك، مع كونه من أهل النَّار.

وأمَّا أهل السُّنَّة فيقولون: الإيمان قول، وعمل، واعتقاد، تضره المعاصي؛ لكن لا تُوجِب خلوده فِي النَّار - كما تقوله المعتزلة - ولا يَكْفُر - كما تقوله الخوارج - ولكن المعاصي تضره وتُضعِف إيمانَه وبزوالها والتوبة منها يَكْمُل إيمانُه، ولكن لا يكفر بالمعاصي إلَّا إذا استحلها، ولا يُخَلَّد فِي النَّار.

وهم وسط أيضًا فِي: أصحاب رسول اللَّه ﷺ بين الرافضة، وبين الخوارج؛ فالرافضة: غَلوا، والخوارج: جَفوا، وقاتلوا الصَّحابة، وكفَّر أَكثرهم أهل البيت.

أمَّا أهل السُّنَّة والجماعة: فَيترضون على جميع الصَّحابة رضي الله عنهم، ويؤمنون بعدالتهم جميعًا، وأنَّهم خير خلق اللَّه بعد الأنبياء - عليهم الصلاة والسَّلام - ويتبرؤون من طريقة الرَّوافض الذين يغلون فِي علي رضي الله عنه وأهل البيت رضي الله عنهم، ويدعونهم مع اللَّه، ويزعمون أنَّهم معصومون!

فلم يغلوا فِي علي رضي الله عنه، ولا فِي أهل البيت رضي الله عنهم؛ بل ترضوا عليهم، وعرفوا فضلهم، وأنَّ من استقام من أهل البيت على الحقِّ، فيرجى له الخير، وعلي رضي الله عنه مثل بقية الصَّحابة، وهو رابع الخلفاء، وله فضله، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنَّة؛ لكن لا يُغلى فيه، ولا يُدعى مع اللَّه، ولا يقال: إنَّه معصوم، ولا يقال: إنَّه صاحب

الرِّسالة، وأنَّ جبريل عليه السلام خان، كلّ هذا باطل؛ لكنه من أفضل وخير الصَّحابة رضي الله عنهم.

ولكن لا يجوز الغلو فيه، ولا في فاطمة رضي الله عنها، ولا في الحسن، ولا فِي الحسين رضي الله عنهما، ولا في غيرهم؛ بل من استقام منهم على الحقِّ، فله صفة المؤمنين، يُدعَى له ويُترضى عليه؛ ولكن لا يُغلَى فيه؛ بل يعرف فضلهم، وأنَّهم من خيرة المسلمين، ولهم منزلتهم المعروفة عند أهل السُّنَّة والجماعة، فلا يغلون في أحد من الصَّحابة، ولا يجفون أحدًا؛ بل يعرفون حقَّهم وفضلهم ومنزلتهم الَّتي أنزلهم اللَّه إيَّاها، ويحفظون فيهم وصية رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم بهم.

❊ ❊ ❊

[وجوب الإيمان بأنَّ اللَّه فوق السَّموات مستوٍ على عرشه وأنه مع خلقه بعلمه]

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وَقَدْ دَخَلَ فِيمَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ:

الْإِيمَانُ بِمَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ، وَتَوَاتَرَ عَنْ رَسُولِهِ ﷺ، وَأَجْمَعَ عَلَيْهِ سَلَفُ الْأُمَّةِ:

- مِنْ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ عَلَى عَرْشِهِ، عَلِيٌّ عَلَى خَلْقِهِ.

- وَهُوَ سُبْحَانَهُ مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا؛ يَعْلَمُ مَا هُمْ عَامِلُونَ.

كَمَا جَمَعَ بَيْنَ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [الحديد: ٤].

وَلَيْسَ مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ أَنَّهُ مُخْتَلِطٌ بِالْخَلْقِ.

- فَإِنَّ هَذَا لَا تُوجِبُهُ اللُّغَةُ.

- وَهُوَ خِلَافُ مَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ سَلَفُ الْأُمَّةِ.

- وَخِلَافُ مَا فَطَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْخَلْقَ.

بَلْ «الْقَمَرُ» آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ، مِنْ أَصْغَرِ مَخْلُوقَاتِهِ، هُوَ مَوْضُوعٌ فِي السَّمَاءِ، وَهُوَ مَعَ الْمُسَافِرِ، وَغَيْرِ الْمُسَافِرِ أَيْنَمَا كَانَ.

وَهُوَ سُبْحَانَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ، رَقِيبٌ عَلَى خَلْقِهِ، مُهَيْمِنٌ عَلَيْهِمْ

مُطَّلِعٌ إِلَيْهِمْ؛ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَعَانِي رُبُوبِيَّتِهِ.

وَكُلُّ هَذَا الْكَلَامِ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ؛ مِنْ: أَنَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ، وَأَنَّهُ مَعَنَا؛ حَقٌّ عَلَى حَقِيقَتِهِ، لَا يَحْتَاجُ إِلَى تَحْرِيفٍ، وَلَكِنْ يُصَانُ عَنِ الظُّنُونِ الْكَاذِبَةِ».

قال الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ:

الإيمان بأنَّه ﷻ فوق السَّماء، فوق عرشه بائن من خلقه، ثابت بالنَّص من الكتاب والسُّنَّة وإجماع سلف الأمَّة، فجميع سلف الأمة - رحمهم اللَّه تعالى - آمنوا بأنَّ اللَّه ﷻ فوق سماواته على عرشه بائن من خلقه، بائن، يعني: منفصل عن خلقه، ليس فِي خلقه شيء من ذاته، وليس فِي ذاته شيء من خلقه؛ بل هو منفصل عنهم، كما قال عبداللَّه بن المبارك: «**نعرف ربنا بأنَّه فوق سماواته، فوق عرشه بائن من خلقه**»(١).

وهكذا يقول السَّلف جميعًا - رحمهم اللَّه - أنَّه سبحانه فوق السماوات، فوق العرش، وعلمه فِي كل مكان، ولا تَنافِي بين عموم علمه، وبين علوه وفوقيته، فهو سبحانه فوق العرش، مع هذا علمه محيط بكلِّ مكان، محيط بكلِّ شيء علمًا، كما قد جمع بين هذا وهذا فِي قوله سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾ [المجادلة: ٧]، فبدأها بالعلم، وختمها بالعلم؛ فدلَّ ذلك على أنَّ العلم غير العلو، فعلمه

(١) أخرجه عبداللَّه بن أحمد في كتاب السنة، برقم (٢٢)، والدارمي في الرد على الجهمية، برقم(٦٧)، وابن بطة في الإبانة الكبرى، برقم(١١٢).

بكلِّ شيء أمر ثابت بالنُّصوص من الكتاب والسُّنَّة وإجماع سلف الأمَّة، وهكذا علوه فوق عرشه ثابت بالنُّصوص، فلا تنافي بين هذا وهذا؛ بل يجب أن يُصَان عن الظُّنون الكاذبة مثل أنْ يظن أنَّ السَّماء تقلّه، أو تظلّه، أو أنَّه فِي حاجة إليها لا؛ بل هو الَّذي أقامها أقام السَّموات، وأقام العرش، وهو الَّذي يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ﴾ [فَاطِر: ٤١]، ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ بِأَمۡرِهِۦۚ﴾ [الرُّوم: ٢٥].

فالمخلوقات كلّها قائمة به -جلَّ وعلا- فهو المُمْسِك والمُقيم والمُدبِّر لها، وهو الخالق لها،وهو فوق العرش فوق جميع الخلق ﷻ، فكونه معنا حقٌّ، وكونه فوق العرش حقٌّ على حقيقته، لا يحتاج إلى تحريف، ولا يُظنُّ أنَّه مختلط بالخلق كما تقول المعتزلة والجهميَّة وغيرهم من نفاة الصِّفات؛ بل هو سبحانه فوق العرش، وعلمه في كلِّ مكان لا تخفى عليه خافية -جلَّ وعلا- لا في السَّماء، ولا في الأرض.

فيجب أن يكون المؤمن على هذه العقيدة العظيمة، الثَّابتة في الكتاب والسُّنَّة، الَّتي أجمع عليها سلف الأمَّة من أصحاب النَّبيّ ﷺ ومَن بعدهم، وأنَّ العلو لا ينافي المعيَّة والعلم والإحاطة، العلو شيء، والعلم بالأشياء شيء آخر، فلا يَزُول، ولا يَعزُب عن علمه شيء، لا فِي الأرض، ولا فِي السَّماء، مع أنَّه فوق العرش فوق جميع الخلق ﷻ، يقول سبحانه: ﴿لِّتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢﴾ [الطَّلَاق: ١٢].

[الإيمان بقربه لا ينافي علوه وفوقيته]

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وَقَدْ دَخَلَ فِي ذَلِكَ:

الْإِيمَانُ بِأَنَّهُ قَرِيبٌ مِنْ خَلْقِهِ.

كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البَقَرَة: ١٨٦].

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ، أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ».

وَمَا ذُكِرَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، مِنْ قُرْبِهِ وَمَعِيَّتِهِ، لَا يُنَافِي مَا نَذْكُرُ مِنْ عُلُوِّهِ وَفَوْقِيَّتِهِ؛ فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فِي جَمِيعِ نُعُوتِهِ، وَهُوَ عَلِيٌّ فِي دُنُوِّهِ، قَرِيبٌ فِي عُلُوِّهِ».

قال الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ:

يُبَيِّن المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ أنَّه دخل فِي الإيمان باللَّه وأسمائه وصفاته أيضًا الإيمان بأنَّه قريبٌ مجيبٌ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فكونه عاليًا فوق العرش، لا يمنع من كونه قريبًا مجيبًا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فهو «عَلِيٌّ فِي دنوه، قريب فِي علوه»، فهو قريبٌ مجيبٌ، وهو العلي الأعلى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فوق العرش، فوق جميع السَّماوات، فوق جميع الخلائق، ولهذا قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البَقَرَة: ١٨٦]، فهو سبحانه قريب من داعيه مجيب لعباده -جلَّ وعلا-

إذا اقتضت حكمتُه إجابَتهم.

لما سمع رسول اللَّه ﷺ بعضَ أصحابه يرفعون أصواتهم فِي السفر قال: «**إِنَّكُمْ لا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلا غَائِبًا، إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ**»، وفِي لفظ: «**إِنَّمَا تَدعُونَ سَمِيعاً بَصِيراً قَرِيبًا، أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِن عُنُقِ رَاحِلَتِهِ**»(١).

فالواجب على كلِّ مؤمن ومؤمنة الإيمان بذلك، وأنَّه سميع قريب، وأنَّ علوه -جلَّ وعلا- فوق العرش لا ينافِي قربه من عباده، وسماعه دعاءهم -جلَّ وعلا- فهو سميع قريب، وهو عليٌّ عظيم -جلَّ وعلا- كما قال سبحانه: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥]، وقال أيضا سبحانه: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ﴾ [فَاطِر: ١٠].

❀ ❀ ❀

(١) سبق تخريجه في (ص٧٢).

[الإيمان بأن القرآن كلام اللَّه]

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وَمِنَ الْإِيمَانِ بِهِ وَبِكُتُبِهِ:

الْإِيمَانُ بِأَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ، مُنَزَّلٌ، غَيْرُ مَخْلُوقٍ.

مِنْهُ بَدَأَ، وَإِلَيْهِ يَعُودُ.

وَأَنَّ اللَّهَ تَكَلَّمَ بِهِ حَقِيقَةً.

وَأَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، هُوَ كَلَامُ اللَّهِ حَقِيقَةً، لَا كَلَامُ غَيْرِهِ.

وَلَا يَجُوزُ إِطْلَاقُ الْقَوْلِ: بِأَنَّهُ حِكَايَةٌ عَنْ كَلَامِ اللَّهِ أَوْ عِبَارَةٌ عَنْهُ.

بَلْ إِذَا قَرَأَهُ النَّاسُ أَوْ كَتَبُوهُ فِي الْمَصَاحِفِ؛ لَمْ يَخْرُجْ بِذَلِكَ عَنْ أَنْ يَكُونَ كَلَامَ اللَّهِ حَقِيقَةً؛ فَإِنَّ الْكَلَامَ إِنَّمَا يُضَافُ حَقِيقَةً إِلَى مَنْ قَالَهُ مُبْتَدِئًا، لَا إِلَى مَنْ قَالَهُ مُبَلِّغًا مُؤَدِّيًا.

وَهُوَ كَلَامُ اللَّهِ؛ حُرُوفَهُ وَمَعَانِيهِ؛ لَيْسَ كَلَامُ اللَّهِ الْحُرُوفَ دُونَ الْمَعَانِي، وَلَا الْمَعَانِيَ دُونَ الْحُرُوفِ».

قال الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ:

من الإيمان باللَّه: الإيمان بأنَّ القرآن كلام اللَّه ﷻ، وأيضًا من الإيمان بكتب اللَّه: الإيمان بأنَّ القرآن: هو كتابه المنزل على عبده ورسوله خاتم النَّبيِّين محمَّد -عليه الصَّلاة والسَّلام- وهو كلام اللَّه؛

حروفه ومعانيه، مُنزَّل غير مخلوق، منه بدأ، وإليه يعود، وأنَّ كونه يُكتب فِي المصاحف، ويقرأ ويُحفظ لا ينافِي ذلك، فهو محفوظ فِي الصُّدور، مكتوب في الصُّحف، مسموع بالآذان، وهو مع هذا كلام اللَّه -جلَّ وعلا- حروفه ومعانيه، ولا يجوز إطلاق القول بأنَّه حكاية عن كلام اللَّه، أو تعبيرٌ عنه، كما تقول الأشاعرة والكلابية وغيرهم[1]؛ بل هو كلام اللَّه؛ حروفه ومعانيه، ليس تعبيرًا عن كلام اللَّه، ولا حكاية؛ بل هو نفسه كلام اللَّه، فقوله سبحانه: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥]، كلام اللَّه، وقوله: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفَاتِحَة: ٢]، كلام اللَّه، وقوله: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥] كلام اللَّه، وجميع الآيات كلها كلام اللَّه، مِن أوله إلى آخره، حروفه ومعانيه، ليس كلام اللَّه الحروف دون المعاني، ولا المعاني دون الحروف، فقوله تعالى: ﴿ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ هذه الحروف ومعانيها: الحياة، والقيومية، كلّ هذا كلامه ﷻ فكلام اللَّه سبحانه يشمل الحروف والمعاني عند أهل السُّنَّة والجماعة.

❁ ❁ ❁

(١) الكُلابية: هم أتباع أبي محمد عبداللَّه بن سعيد بن كُلاب القطان البصري (ت٢٤٥هـ) ينظر: مقالات الإسلاميين، للأشعري (١/ ٢٤٩-٢٥٢)، والفصل في الملل والأهواء والنحل- لابن حزم (٤/ ٢٠٨).

[الإيمان بأن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة]

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وَقَدْ دَخَلَ أَيْضًا فِيمَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الْإِيمَانِ بِهِ وَبِكُتُبِهِ وَبِرُسُلِهِ:
الْإِيمَانُ بِأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرَوْنَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَيَانًا بِأَبْصَارِهِمْ.
كَمَا يَرَوْنَ الشَّمْسَ صَحْوًا لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ.
وَكَمَا يَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، لَا يُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ.
يَرَوْنَهُ سُبْحَانَهُ وَهُمْ فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ.
ثُمَّ يَرَوْنَهُ بَعْدَ دُخُولِ الْجَنَّةِ كَمَا يَشَاءُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى».

قال الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا الفصل في رؤية المؤمنين لربِّهم، وقد تقدَّم أنَّ المؤمنين بالجملة يؤمنون بكل ما أخبر اللَّه به ورسوله ﷺ؛ مِن أمر الجنَّة والنَّار، والملائكة، والصُّحف، والميزان، والحساب، والجزاء، وغير هذا من شؤون الآخرة، كلّ هذا يؤمن به أهل السُّنَّة والجماعة على سبيل العموم.

ومن ذلك الإيمان: بأنَّ المؤمنين يرون ربَّهم يوم القيامة، هذا من أخبار يوم القيامة، أنَّ المؤمنين يرون ربَّهم يوم القيامة «**عيانًا بأبصارهم**» عيانًا: مصدر عاين يُعاين عَيَانًا ومعاينةً، مثل: قاتل قتالاً ومقاتلةً، وحاسب حسابًا ومحاسبةً، وجادل جدالاً ومجادلةً، فهم يرون ربَّهم عيانًا، يعني: بالأبصار، رؤية واضحة ليس فيها شك ولا

شبهة: «**كَمَا تَرَوْنَ القَمَرَ لَيْلَة البَدْرِ لا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ، وكَمَا يَرَوْنَ الشَّمسَ صَحوًا لَيسَ دُونَهَا سَحَاب**»[(١)]، كما أخبر النَّبِيَّ بهذا -عليه الصَّلاة والسَّلام-.

أمَّا الكُفَّار فلا يرون ذلك: يُحجبون، كما قال سبحانه: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ﴾ يعني: يوم القيامة ﴿لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطفّفين: ١٥]، والمؤمنون يرونه في الموقف رؤيةٌ خاصة بهم دون أهل الموقف، ثُمَّ يرونه كما يشاء ﷻ فِي الجنَّة، فِي الأوقات الَّتي يَكشف لهم فيها الحجاب عن وجهه الكريم، فلهم في الجنَّة أوقات مُعيَّنة يرونه فيها على حسب منازلهم، في أوقات متكررةٍ.

❋ ❋ ❋

(١) سبق تخريجه في (ص٧٤).

[الإيمان بفتنة القبر وعذابه ونعيمه]

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وَمِنَ الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ:

الْإِيمَانُ بِكُلِّ مَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مِمَّا يَكُونُ بَعْدَ الْمَوْتِ:

فَيُؤْمِنُونَ: بِفِتْنَةِ الْقَبْرِ، وَبِعَذَابِ الْقَبْرِ وَبِنَعِيمِهِ.

فَأَمَّا «الْفِتْنَةُ»: فَإِنَّ النَّاسَ يُفْتَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ.

فَيُقَالُ لِلرَّجُلِ: مَنْ رَبُّك؟

وَمَا دِينُك؟

وَمَنْ نَبِيُّك؟

فَـ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

فَيَقُولُ «الْمُؤْمِنُ»: اللَّهُ رَبِّي، وَالْإِسْلَامُ دِينِي، وَمُحَمَّدٌ ﷺ نَبِيِّي.

وَأَمَّا «الْمُرْتَابُ» فَيَقُولُ: هاه هاه، لَا أَدْرِي؛ سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ.

فَيُضْرَبُ بِمَرْزَبَّةٍ مِنْ حَدِيدٍ، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا الْإِنْسَانُ، وَلَوْ سَمِعَهَا الْإِنْسَانُ؛ لَصُعِقَ.

ثُمَّ بَعْدَ هَذِهِ الْفِتْنَةِ: إِمَّا نَعِيمٌ، وَإِمَّا عَذَابٌ، إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ الْكُبْرَى».

قال الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ:

من أصول أهل السُّنَّة والجماعة: الإيمان بكل ما أخبر اللَّه ورسوله ﷺ به من أمر الآخرة؛ والجنَّة، والنَّار، والحساب، والجزاء، كلّ هذا يؤمن به أهل السُّنَّة والجماعة، خلافاً لأهل البدع.

ومن ذلك: الإيمان بعذاب القبر ونعيمه، وأنَّ النَّاس يُفتنون فِي قبورهم، فيقال للرجل: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟، فيثبت اللَّه الذين آمنوا بالقول الثابت فِي الحياة الدنيا وفِي الآخرة، ويُضل اللَّه الظَّالمين، كما قال سبحانه: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾ [إبراهيم: ٢٧].

فالمؤمن يقول: ربي اللَّه، والإسلام ديني، ومحمَّد نبيِّي -عليه الصَّلاة والسَّلام- وأمَّا المنافق والكافر، فيقول: هاه! لا أدري، المنافق: الَّذي أظهر الإسلام وهو كافر، والكافر الصَّريح، فيقول: هاه! لا أدري، سمعتُ النَّاس يقولون شيئًا فقلته؛ فيضرب بمرزبة من حديد، فيصيح صيحة يسمعها كلُّ شيء إلَّا الإنسان، ولو سمعها الإنسان لصُعِق.

ثُمَّ يبقى الإنسان إمَّا فِي نعيم، وإمَّا فِي عذاب، فالمؤمن فِي نعيم تنقل روحه إلى الجنَّة، والكافر تنقل روحه إلى النَّار، كما قال سبحانه فِي أهل النَّار من آل فرعون: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر: ٤٦].

❋ ❋ ❋

[الإيمان باليوم الآخر]

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«فَتُعَادُ الْأَرْوَاحُ إِلَى الْأَجْسَادِ، فَتَقُومُ الْقِيَامَةُ الَّتِي أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا فِي كِتَابِهِ، عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ، وَأَجْمَعَ عَلَيْهَا الْمُسْلِمُونَ.

فَيَقُومُ النَّاسُ مِنْ قُبُورِهِمْ» لِرَبِّ الْعَالَمِينَ، حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا.

وَتَدْنُو مِنْهُمُ الشَّمْسُ، وَيُلْجِمُهُمُ الْعَرَقُ.

وَتُنْصَبُ الْمَوَازِينُ، فَيُوزَنُ فِيهَا أَعْمَالُ الْعِبَادِ.

﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [المؤمنون: ١٠٢-١٠٣].

وَتُنْشَرُ الدَّوَاوِينُ، وَهِيَ صَحَائِفُ الْأَعْمَالِ.

- فَآخِذٌ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ.
- وَآخِذٌ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ.
- أَوْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ.

كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾ [الإسراء: ١٣-١٤].

وَيُحَاسِبُ اللَّهُ الْخَلْقَ.

وَيَخْلُو بِعَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ، فَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ كَمَا وُصِفَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

وَأَمَّا الْكُفَّارُ؛ فَلَا يُحَاسَبُونَ مُحَاسَبَةَ مَنْ تُوزَنُ حَسَنَاتُهُ وَسَيِّئَاتُهُ فَإِنَّهُمْ لَا حَسَنَات لَهُمْ، وَلَكِنْ تُعَدُّ أَعْمَالُهُمْ، وَتُحْصَى فَيُوقَفُونَ عَلَيْهَا، وَيُقَرَّرُونَ بِهَا، وَيُجْزَوْنَ بِهَا».

قال الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ:

تقوم القيامة الكبرى بعد فتنة القبر، ويقوم النَّاس من قبورهم حفاةً عراةً غرلاً، يردُّ اللَّه إليهم أجسامهم، ويبعثون كما خلقهم؛ «حفاةً»: لا نعال لهم، «عُراةً»: لا كسوة عليهم، «غُرْلا»: غير مختونين، يقومون لربِّ العالمين، ويُحَاسِب اللَّهُ الخلائق -جلَّ وعلا- وتُنصب الموازين، وتُوزن فيها أعمالُ العباد، فمَن ثقلت موازينه فهو السَّعيد، ومَن خَفَّت موازينه فهو الهالك، وتُنشر الصُّحف وتُوزَّع بينهم، فآخِذٌ كتابَه بيمينه، وآخِذٌ كتابه بشماله، أو مِن وراء ظهره، كما بُيِّنَ فِي القرآن.

وأمَّا الكُفَّار فلا يُحاسَبون محاسبةَ مَن تُوزن حسناته وسيئاته؛ لأنَّهم لا حسنات لهم؛ ولكن تُحصى عليهم أعمالهم، وَيُقرُّون بها، ويجزون بها، ثُمَّ يساقون إلى النَّار، كما قال تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾ [الزُّمَر: ٧١]، زمرة بعد زمرة، نسأل اللَّه العافية بأعمالهم الخبيثة، وكفرهم باللَّه ﷻ.

أمَّا أهل الجنَّة فيساقون إلى الجنَّة مُكرَّمين وفدًا زُمَرًا بعد خلاصهم من الموقف، وبعد مرورهم على الصِّراط، وبعد خلاصهم من العَرصة الَّتي يُوقَفون عليها يُساقون إلى الجنَّة وفدًا، كلٌّ يَصِل مَنزِلَه وهو أعلم به مِن منزله من الدنيا، فيقصدون منازلهم التي أعدها اللَّهُ لهم.

والمقصود: أنَّ هذا شأن يوم القيامة، يومٌ عظيم، مقدارُه

خمسون ألف سنة، يومٌ عسير على الكافرين، يسير على المؤمنين، [ولا ينتصف ذلك اليوم إلا وقد صار أهل الجنة إلى منازلهم][(١)] ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾﴾ [الفرقان: ٢٤]، ينتهي أهل الجنَّة فِي مقيلهم فِي الجنَّة، وأهل النَّار فِي مقيلهم فِي النَّار، نسأل اللَّه العافِية.

قد فُرِغ من حسابهم، وربُّك -جلَّ وعلا- هو الحكم العدل، لا يَظلم مثقال ذرة، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [النِّسَاء: ٤٠]، ويقول سبحانه: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبيَاء: ٤٧]، ويقول سبحانه: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ [الزّلزَلة: ٧-٨]، انظر بعد ذلك كم يكون مثاقيل الذر؟! إذا تصدقت بريالٍ أو لقمةٍ أو تمرةٍ كم فِيها من مثقال ذرة؟! فكيف بمن يتصدق بالأموال الجزيلة، والطعام الكثير! سوف يجد ذلك إذا أخلص لِلَّه، وصدق فِي ذلك ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ [الزّلزَلة: ٧-٨].

ويروى عن ابن عمر رضي الله عنهما أنَّه تصدَّق بحبة عنب فقيل له في ذلك: ما قيمتها؟ قال: «**كم تزن هذه الحبَّة من مثاقيل الذر**»[(٢)].

---

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (٢٨/ ٣٧).

(٢) أخرجه عن عائشة وعبدالرحمن بن عوف: البيهقي في شعب الإيمان (٣١٩٢، ٣١٩١) وعن عمر بن الخطاب: عبد بن حميد، كما في الدر المنثور، للسيوطي(٨/ ٥٩٧). وعن سعد بن أبي وقاص: أبو عبيد في الأموال (٩١٠).

المقصود: أنَّ الإنسان لا يحتقر الصَّدقة ولو قَلَّتْ، حسب طاقته، يتصدق بريال، بخمسة ريالات، بلقمة يعطيها السائل، بتمرة أو تمرتين إلى غير ذلك. في الحديث أنَّ امرأةً سائلة جاءت إلى بيت النَّبِيّ ﷺ ومعها ابنتان لها، قالت عائشة رضي الله عنها: فلم أجد فِي البيت إلَّا ثلاث تمرات، فأخذتُها وسلّمتها للمرأة السَّائلة، فدفعت المرأةُ لكلِّ واحدة من ابنتيها تمرة، وأخذت الثَّالثة لتأكلها، فاستَطعمتْها ابنتاها التمرة الثَّالثة - صارتا أسرع منها، أكلتا تمرتيهما، وطلبتا الثَّالثة- فشقَّتها بينهما نصفين، ولم تأكل شيئًا، قالت عائشة: فأعجبني شأنها، فلما جاء النَّبِيّ ﷺ أخبرتُه بشأنها، فقال: «**إِنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ - قَدْ أَوْجَبَ لَهَا بَهَا الجَنَّة**»[(١)]، يعني: بهذه الرَّحمة، رحِمَت ابنتيها، وشقت التمرة بينهما ولم تأكل شيئًا، هذا يدل على أنَّ الصدقة ولو بالقليل عن إخلاص وصدق فِيها خير كثير، قال تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التَّغَابُن: ١٦]، ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبيَاء: ٤٧].

❋ ❋ ❋

(١) أخرجه عن عائشة رضي الله عنها مسلم برقم (٢٦٣٠).

[الإيمان بالحوض والصِّراط]

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وَفِي عَرَصَةِ الْقِيَامَةِ: الْحَوْضُ الْمَوْرُودُ لِمُحَمَّدٍ ﷺ.

مَاؤُهُ: أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ.

آنِيَتُهُ: عَدَدَ نُجُومِ السَّمَاءِ.

طُولُهُ: شَهْرٌ، وَعَرْضُهُ: شَهْرٌ.

مَنْ شَرِبَ مِنْهُ شَرْبَةً؛ لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَدًا.

❖ ❖ ❖

وَالصِّرَاطُ مَنْصُوبٌ عَلَى مَتْنِ جَهَنَّمَ، وَهُوَ الْجِسْرُ الَّذِي بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ.

يَمُرُّ النَّاسُ عَلَيْهِ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ:

- فَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ.
- وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالْبَرْقِ.
- وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالرِّيحِ.
- وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالْفَرَسِ الْجَوَادِ.
- وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَرِكَابِ الْإِبِلِ.
- وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْدُو عَدْوًا.
- وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي مَشْيًا.

- وَمِنْهُمْ مَنْ يَزْحَفُ زَحْفًا.

- وَمِنْهُمْ مَنْ يُخْطَفُ فَيُلْقَى فِي جَهَنَّمَ؛ فَإِنَّ الْجِسْرَ عَلَيْهِ كَلَالِيبُ تَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ.

فَمَنْ مَرَّ عَلَى الصِّرَاطِ؛ دَخَلَ الْجَنَّةَ، فَإِذَا عَبَرُوا عَلَيْهِ؛ وُقِفُوا عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ؛ فَيُقْتَصُّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ، فَإِذَا هُذِّبُوا وَنُقُّوا؛ أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ[(١)]».

قال الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا بحث الحوض المورود، والصِّراط الموعود، الحوض المورود للنَّبِيِّ ﷺ والكوثرالذي ذكر في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١﴾ [الكوثر: ١]، يصب فيه ميزابان ويَرِدُ عليه المؤمنون من أتباع محمَّد ﷺ، طوله شهر، وعرضه شهر، آنيته عدد نجوم السماء، ماؤه أشدُّ بياضًا من اللَّبن، وطعمه أحلى من العسل، من يَشرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبدًا حتَّى يدخل الجنَّة، ويُذَاد عنه أقوام؛ فيسأل النبيُّ ﷺ، فيقول: يَا رَبِّ لِمَاذَا؟ فَيُقَالُ: «**إِنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ مُنذ فَارَقتَهُم**»، فيُمنعون من وروده، ويقول لهم النبي ﷺ: «**بُعْدًا بُعْدًا لِمَن بَدَّلَ بَعْدِي**»[(٢)].

هذا يدلُّ على أنَّ هذا الحوض يختصُّ به المؤمنون الَّذين ماتوا على اتِّباع النَّبِيِّ ﷺ وعلى دينه، أمَّا المرتدون الَّذين ارتدوا بعد النَّبِيِّ ﷺ عن دينهم؛ فإنَّهم لا يردون عليه الحوض، وهكذا كلّ كافر لا

(١) أخرجه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه البخاري، برقم (٢٤٤٠)، (٦٥٣٥).

(٢) أخرجه عن ابن عباس رضي الله عنهما البخاري برقم (٤٦٢٥)، ومسلم برقم (٢٨٦٠).

يَرِد عليه الحوض، إنَّما يَرِد المؤمنون خاصة من أتباعه عليه الصَّلاة والسَّلام.

وللأنبياء أحواض غير حوضه عليه الصَّلاة والسَّلام[(١)]؛ لكن حوضه أكملها وأتمها.

والصِّراط طريق منصوب على متن جهنَّم، من سقط منه سقط فِي جهنَّم، يَرِدُهُ كلّ من دخل الجنَّة، كما قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾ [مَرِيَم: ٧١-٧٢]، فالمؤمنون يردونه وينجون، وغير المؤمن لا يرده أصلاً ولا يمر عليه؛ بل يُساق إلى جهنَّم، نسأل اللَّه العافِية. ويرده أناسٌ، ويمرُّون على هذا الصَّراط، فمنهم من يمرّ كلمح البصر من المؤمنين، ومنهم من يمرّ كالبرق، ومنهم من يمرّ كالفرس الجواد، ومنهم من يمرّ كالريح، ومنهم من يمرّ كأجود الخيل والركاب تجري بهم أعمالهم على حسب أعمالهم، ومنهم من يمر عليه حَبوًا وزحفًا، يقوم تارةً ويسقط أخرى، ومنهم من يُخطَفُ ويُلقى فِي جهنم، نسأل اللَّه العافِية، كلّ واحد على حسب الأعمال التي مات عليها، وبعض النَّاس يمر ويُخدَش ثم يسلم وينجو، وبعضهم يسقط ويُعذَّب بذنبه على قدر معاصيه، ثم يخرجه اللَّه من النَّار إلى الجنَّة، ولا يخلد فِي النَّار إلَّا الكُفَّار.

أمَّا المسلمون العصاة السَّاقطون فيها، فهؤلاء يُعَذَّبُون تعذيبًا مؤقتًا على حسب معاصيهم، ثُمَّ يأذن اللَّه للشُّفعاء فيشفعون، ومنهم

(١) أخرجه عن سمرة رضي الله عنه الترمذي، برقم (٢٤٤٣)، انظر: السلسلة الصحيحة للألباني، برقم (١٥٨٩).

نبيّنا محمَّد - أعظمهم شفاعةً عليه الصَّلاة والسَّلام - فَيحُد اللَّه له حدًا من هؤلاء العصاة، فيشفع فيهم؛ فيخرجون من النَّار، ثُمَّ يشفع، ثُمَّ يشفع، ثُمَّ يشفع أربع شفاعات، كل شفاعة يَحُدّ اللَّه له حدًا، فيخرجهم من النَّار، ويبقى في النَّار من هذه الأمَّة من عصاتها قومٌ لم تشملهم الشَّفاعة، فيخرجهم اللَّه بعد ذلك بفضل رحمته ﷻ، يخرجهم من النَّار إلى الجنَّة، ويُلقَون فِي نهر الحياة، فينبتون فيه كما تنبت الحبَّة فِي حَمِيل السَّيل، فإذا تم خلقهم أذن لهم في دخول الجنَّة.

وبهذا يعلم المؤمن أنَّ الواجب عليه الحرص على أسباب السَّلامة، وأنَّ هذه أخطار عظيمة؛ من جهة الحوض، ومن جهة الصَّراط، فالواجب عليه أن يسأل اللَّه حسن الختام، وأن يجتهد فِي الثبات على الحق، والاستقامة عليه، والحذر من معاصي اللَّه ﷻ، والحرص على التَّوبة؛ كُلَّما زلت قدَمُه بارتكاب ذنب بادر بالتَّوبة فهو ليس بمعصوم؛ لكن يلزم التوبة كُلَّما حسَّ بتقصير أو ذنب، كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ [آل عِمرَان: ١٣٥-١٣٦].

فالمؤمن يحاسب نفسه دائمًا ويراقبها، وينظر عمله ولا يُعجب به، ولا يَمُنُّ بعمله؛ بل يجاهد نفسه لعله ينجو: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون: ٦٠-٦١].

يقول ابن أبي مليكة: «أَدْرَكْتُ ثَلاثِينَ مِن أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ كُلُّهُمْ يَخَافُ النِّفَاقَ عَلَى نَفْسِهِ، لَيْسَ فِيهم من يقول: إنه على إيمان جبريل وميكائيل»، ويقول إبراهيم بن يزيد التيمي: «مَا عَرَضْتُ قَوْلِي عَلَى عَمَلِي إلا خَشِيتُ أَنْ أَكُونَ مُكَذِّبًا»[(١)].

فالواجب الحذر، وعدم المَنَّ بالعمل أو العُجب به؛ فإنَّما يتقبَّل اللَّه من المتقين، فالإنسان يجاهد نفسه، ويعرف أنَّه محل نقص ومحل التَّقصير حتَّى يجتهد، ويعرف الحقّ، ويلزم التَّوبة، حتَّى يلقى ربَّه وهو عنه راضٍ، نسأل اللَّه للجميع التَّوفِيق والهداية.

❀ ❀ ❀

(١) ذكر الأثرين البخاريُّ في صحيحه معلقين (١/ ١٨)، وجاء أثر ابن أبي مليكة موصولا في السنة للخلال (٣/ ٦٠٧)، وبنحوهِ في الإبانة الكبرى لابن بطة (٢/ ٧٥٥)، وجاء أثر التيمي موصولا في مصنف ابن أبي شيبة رقم (٣٤٩٧٠).

[دخول الجنة وشفاعاته ﷺ]

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وَأَوَّلُ مَنْ يَسْتَفْتِحُ بَابَ الْجَنَّةِ: مُحَمَّدٌ ﷺ.

وَأَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنَ الْأُمَمِ: أُمَّتُهُ ﷺ.

وَلَهُ ﷺ فِي الْقِيَامَةِ ثَلَاثُ شَفَاعَاتٍ:

أَمَّا الشَّفَاعَةُ الْأُولَى: فَيُشَفَّعُ فِي أَهْلِ الْمَوْقِفِ، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَهُمْ بَعْدَ أَنْ يَتَرَاجَعَ الْأَنْبِيَاءُ - آدَمُ وَنُوحٌ وَإِبْرَاهِيمُ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ - الشَّفَاعَةَ حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَيْهِ.

وَأَمَّا الشَّفَاعَةُ الثَّانِيَةُ: فَيَشْفَعُ فِي أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلُوا الْجَنَّةَ.

وَهَاتَانِ الشَّفَاعَتَانِ خَاصَّتَانِ لَهُ.

وَأَمَّا الشَّفَاعَةُ الثَّالِثَةُ: فَيَشْفَعُ فِيمَنْ اسْتَحَقَّ النَّارَ.

وَهَذِهِ الشَّفَاعَةُ لَهُ وَلِسَائِرِ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَغَيْرِهِمْ.

- يَشْفَعُ فِيمَنْ اسْتَحَقَّ النَّارَ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا.

- وَيَشْفَعُ فِيمَنْ دَخَلَهَا أَنْ يَخْرُجَ مِنْهَا.

وَيُخْرِجُ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ النَّارِ أَقْوَامًا بِغَيْرِ شَفَاعَةٍ، بَلْ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ.

وَيَبْقَى فِي الْجَنَّةِ فَضْلٌ عَمَّنْ دَخَلَهَا مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، فَيُنْشِئُ اللَّهُ لَهَا أَقْوَامًا، فَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ.

وَأَصْنَافُ مَا تَتَضَمَّنُهُ الدَّارُ الْآخِرَةُ مِنَ: الْحِسَابِ، وَالْعِقَابِ وَالثَّوَابِ، وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَتَفَاصِيلُ ذَلِكَ مَذْكُورَةٌ فِي: الْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ مِنَ السَّمَاءِ، وَالْآثَارَةِ مِنَ الْعِلْمِ؛ الْمَأْثُورَةِ عَنِ الْأَنْبِيَاءِ.

وَفِي الْعِلْمِ الْمَوْرُوثِ عَنِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ ذَلِكَ؛ مَا يَشْفِي وَيَكْفِي، فَمَنِ ابْتَغَاهُ وَجَدَهُ».

قال الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ:

أمر اللَّه -جلَّ وعلا- ألايُفتَح باب الجنة لأحد قبل نبينا محمد ﷺ، فهو أوَّل من يقرع بابها، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتفْتِحُ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ**»[(١)]، وأوَّل من يدخل الجنَّة من الأمم بعد الأنبياء عليهم السلام أُمَّته فأفضل الأمم أمَّة محمَّد ﷺ.

وله ﷺ ثلاث شفاعات يوم القيامة:

الشفاعة الأولى: هي الشَّفاعة العظمى فِي أهل الموقف حتَّى يُقضى بينهم ويُحاسبوا، وذلك بعد أن يتراجع الأنبياء -عليهم الصَّلاة والسَّلام- عنها (آدم، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى ابن مريم)، فإذا اشتدّ الموقف فزع الناسُ إلى آدَمَ عليه السلام فَيَقُولُونَ: «**يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُو البَشَرِ، خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِن رُوحِهِ، وَأَسجَد لَكَ مَلائِكَتَهُ، وَعَلّمَكَ أَسْمَاءَ كُلّ شَيءٍ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟** يعني: من المشقة والشدة، «**فَيَقُولُ -عَلَيهِ الصَّلاةِ وَالسَّلام- لَسْتُ هُنَالِكُمْ، إِنَّ رَبِّي غَضِبَ اليَوْمَ**

(١) أخرجه عن أنس بن مالك رضي الله عنه مسلم، برقم (١٩٧).

غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ!»، ويذكر خطيئته وهي أكله من الشَّجرة، وهو قد تاب منها؛ ولكن هذا من شدة ورع الأنبياء وخوفهم وكمال إيمانهم -عليهم الصَّلاة والسَّلام- اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ؛ فيأْتُونَ نُوحًا -عليه الصلاة والسلام-: فَيَقُولُونَ: أَنْتَ أَوَّلُ رَسُولٍ أَرْسَلَهُ اللَّه إِلَى الأَرْضِ» يعني: بعد ما وقع الشِّرك فِيهم، «**وقد سَمَّاكَ اللَّهُ عَبْدًا شَكُورًا، أَلا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، فيقُولُ مِثْلَ مَا قَالَ آدَمُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَن يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَيَذْكُرُ دَعْوَتَهُ عَلَى أُمَّتِهِ، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى إِبرَاهِيمَ -عَلَيْهِ الصَّلاةِ والسَّلامَ- فَيَأْتُونَ إِبرَاهِيمَ، فَيَقُولُ مِثْلَ ذَلِكَ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلا يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَذَكَرَ كَذَبَاتِهِ الثَّلاث الَّتي كذبها فِي ذَاتِ اللَّهِ**» قَوْلُهُ: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾ [الصَّافات: ٨٩]، وَقَوْلُهُ: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ [الأنبياء: ٦٣][(١)]، «**فَيَقُولُ: اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُوسَى؛ فيأْتُونَ مُوسَى -عَلَيْهِ الصَّلاة والسَّلامَ-، فَيَقُولُ مثل قولهم: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ! وَإِنِّي قَدْ قَتَلْتُ نَفسًا لَمْ أُومَرْ بقَتْلِهَا، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى -عَلَيْهِ الصَّلاة والسَّلام- فَيَأْتُونَ عِيسَى، فَيَقُولُونَ لَهُ: اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ؛ فيعتذر عيسى وَيَقُولُ لهم مثل ما قال من قبله: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَن يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، اذهَبُوا إِلَى**

(١) والثالثة: قوله عن سارة زوجته: إنها أخته، أخرجه عن أبي هريرة رضي الله عنه البخاري، برقم (٣٣٥٨)، ومسلم برقم (٢٣٧١).

مُحَمَّدٍ؛ عَبْدٌ قَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِه وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ: فَيَأْتُونِي فَأَقُولُ: أَنَا لَهَا، أَنَا لَهَا»، اللَّهمَّ صَلِّ وسلِّم عليه، «**ثُمَّ يَتَقَدَّم إِلَى رَبِهِ، فَيَسجُدُ تَحْتَ العَرْشِ، بين يدي رَبَّه، ويحمده بمحامد عظيمة يفتحها اللَّه عليه، ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ! ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسمع، وَسَلْ تُعْطَهْ، اشْفَعْ تُشَفَّعْ**»[(١)]، فيشفع فِي أهل الموقف حتَّى يُقضى بينهم.

الشفاعة الثانية: يشفع فِي أهل الجنَّة حتَّى يدخلوا الجنَّة.

وهاتان الشفاعتان خاصتان له ﷺ.

الشفاعة الثالثة: يشفع شفاعة أخرى فِي أناس دخلوا النَّار بذنوبهم ومعاصيهم، فيُحدّ اللَّه له حدًا، فيخرجهم من النَّار، ثُمَّ يشفع فَيُحَدّ اللَّه له حدًا، فيخرجهم من النَّار، ثُمَّ يشفع فيحدّ اللَّه له حدًا، فيخرجهم من النَّار، ثُمَّ يشفع، فيحد له حدًا فيخرجهم من النَّار، أربع مرات -عليه الصَّلاة والسَّلام- كما جاء فِي الصحيح[(٢)].

ويشفع الأنبياء، والمؤمنون، والأفراط - وتفاصيل يوم القيامة أمرٌ عظيم - ويبقى فِي النَّار جملة من الموحدين لم تعمهم الشفاعات، ويبقى فِي النَّار جماعة من الموحدين العصاة الَّذين دخلوها بذنوبهم، فيُخرجهم اللَّه من النَّار برحمته -جلَّ وعلا- بغير شفاعة أحد، قد امتحشوا واحترقوا بالنَّار، فيُلقَون فِي نهر الحياة، فينبتون كما تنبت الحبة في حَمِيل السيل، فإذا تم خلقهم أدخلهم اللَّه الجنَّة بفضل رحمته ﷻ، ولا يبقى فِي النَّار من الموحدين أحد، ما

(١) سبق تخريجه في (ص٣٤).

(٢) أخرجه عن أنس بن مالك رضي الله عنه البخاري، برقم (٦٥٦٥).

يبقى فيها إلَّا الكُفَّار الَّذين كتب اللَّه عليهم الخلود فيها؛ لكفرهم باللَّه، كما قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾ [البَقَرَة: ١٦٧]، وقال فِي حقهم: ﴿كُلَّمَا خَبَتۡ زِدۡنَٰهُمۡ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾﴾ [الإسرَاء: ٩٧]، وقال تعالى فِي حقهم: ﴿فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمۡ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾﴾ [النَّبَإ: ٣٠]، وقال فِي حقهم: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخۡرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ﴿٣٧﴾﴾ [المَائدة: ٣٧]، نعوذ باللَّه، وقال فِي حقهم ﴿وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ﴾؛ فيقول اللَّه ﷻ: ﴿أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾أي: فِي الدنيا: ﴿وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾ [فَاطِر: ٣٧]، هذه حالهم، وهذه نهايتهم؛ العذاب السرمدي - نسأل اللَّه العافيَّة - أبد الآباد، لا تنتهي النار، ولا يخرجون منها، نسأل اللَّه العافيَّة.

أمَّا تفاصيل يوم القيامة وما يتعلَّق بالميزان، وبحال الميزان، وثقله، وتوزيع الصُّحف وما يصيبهم من الكرب العظيم إلى غير ذلك، كل هذا موجود بعضه فِي القرآن، وبعضه فِي الأحاديث الصَّحيحة من أراده وجده.

❋ ❋ ❋

[الإيمان بالقدر ومراتبه]

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وَتُؤْمِنُ الْفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ أَهْلُ السُّنَّة وَالْجَمَاعَةِ «بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ».

وَالْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ عَلَى دَرَجَتَيْنِ، كُلُّ دَرَجَةٍ تَتَضَمَّنُ شَيْئَيْنِ.

فَالدَّرَجَةُ الْأُولَى: الْإِيمَانُ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَلِمَ مَا الْخَلْقُ عَامِلُونَ بِعِلْمِهِ الْقَدِيمِ الَّذِي هُوَ مَوْصُوفٌ بِهِ أَزَلًا وَأَبَدًا.

وَعَلِمَ جَمِيعَ أَحْوَالِهِمْ، مِنَ الطَّاعَاتِ وَالْمَعَاصِي وَالْأَرْزَاقِ وَالْآجَالِ.

ثُمَّ كَتَبَ اللَّهُ تَعَالَى فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ، فَأَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ؛ قَالَ لَهُ: اكْتُبْ! قَالَ: مَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَمَا أَصَابَ الْإِنْسَانَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ، جَفَّتْ الْأَقْلَامُ وَطُوِيَتْ الصُّحُفُ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾ [الحج: ٧٠]، وَقَالَ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾ [الحديد: ٢٢]، وَهَذَا التَّقْدِيرُ التَّابِعُ لِعِلْمِهِ سُبْحَانَهُ يَكُونُ فِي مَوَاضِعَ جُمْلَةً وَتَفْصِيلًا، فَقَدْ كَتَبَ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ مَا شَاءَ.

فَإِذَا خَلَقَ جَسَدَ الْجَنِينِ قَبْلَ نَفْخِ الرُّوحِ فِيهِ؛ بَعَثَ إِلَيْهِ مَلَكًا

فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، فَيُقَالُ: اكْتُبْ رِزْقَهُ وَأَجَلَهُ وَعَمَلَهُ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، وَنَحْوَ ذَلِكَ.

فَهَذَا الْقَدرُ قَدْ كَانَ يُنْكِرُهُ غُلَاةُ «الْقَدَرِيَّةِ» قَدِيمًا، وَمُنْكِرُوهُ الْيَوْمَ قَلِيلٌ.

وَأَمَّا الدَّرَجَةُ الثَّانِيَةُ: فَهُيَ: مَشِيئَةُ اللَّهِ تَعَالَى النَّافِذَةُ، وَقُدْرَتُهُ الشَّامِلَةُ، وَهُوَ الْإِيمَانُ بِأَنَّ مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، وَأَنَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، مِنْ حَرَكَةٍ وَلَا سُكُونٍ إِلَّا بِمَشِيئَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، لَا يَكُونُ فِي مُلْكِهِ إِلَّا مَا يُرِيدُ، وَأَنَّهُ ﷻ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ مِنَ الْمَوْجُودَاتِ وَالْمَعْدُومَاتِ، فَمَا مِنْ مَخْلُوقٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ إِلَّا اللَّهُ خَالِقُهُ سُبْحَانَهُ لَا خَالِقَ غَيْرُهُ، وَلَا رَبَّ سِوَاهُ.

وَقَدْ أَمَرَ الْعِبَادَ بِطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رُسُلِهِ، وَنَهَاهُمْ عَنْ مَعْصِيَتِهِ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ وَالْمُحْسِنِينَ وَالْمُقْسِطِينَ، وَيَرْضَى عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، وَلَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ، وَلَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ، وَلَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ، وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ، وَلَا يُحِبُّ الْفَسَادَ.

وَالْعِبَادُ فَاعِلُونَ حَقِيقَةً، وَاللَّهُ خَالِقُ أَفْعَالِهِمْ، وَالْعَبْدُ هُوَ: الْمُؤْمِنُ وَالْكَافِرُ، وَالْبَرُّ وَالْفَاجِرُ، وَالْمُصَلِّي وَالصَّائِمُ.

وَلِلْعِبَادِ قُدْرَةٌ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، وَإِرَادَةٌ، وَاللَّهُ خَالِقُهُمْ وَخَالِقُ قُدْرَتِهِمْ وَإِرَادَتِهِمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٩﴾ [التكوير: ٢٨-٢٩].

وَهَذِهِ الدَّرَجَةُ مِنَ الْقَدَرِ، يُكَذِّبُ بِهَا عَامَّةُ «الْقَدَرِيَّةِ»، الَّذِينَ

سَمَّاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ: «مَجُوسَ هَذِهِ الْأُمَّةِ»(١). وَيَغْلُو فِيهَا قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الْإِثْبَاتِ، حَتَّى يَسْلُبُوا الْعَبْدَ قُدْرَتَهُ وَاخْتِيَارَهُ، وَيُخْرِجُونَ عَنْ أَفْعَالِ اللَّهِ وَأَحْكَامِهِ؛ حِكَمَهَا وَمَصَالِحَهَا».

قال الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا البحث من أنفس البحوث، ومن أجمعها، وهو بحث نفيس عظيم فِيما يتعلق بالقَدَر، وقد بسطه المؤلف وأوضحه، كما بسط ذلك العلَّامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ أيضًا فِي (شفاء العليل فِي مسائل القضاء والقدر، والحكمة والتعليل).

فالمؤلف هنا بيَّن أمر القدر بيانًا شافِيًا جيِّدًا، فمن أصول أهل السُّنَّة والجماعة، ومن صفات الفرقة النَّاجية: الإيمان بالقدر خيره وشره، فالفرقة النَّاجية تؤمن بالقدر خيره وشره من جميع الوجوه.

وإيمانها بالقدر على درجتين، كلّ درجة تتضمن شيئين، فالإيمان بالقدَر يتضمن أربعة أشياء،ويقال: له أربع مراتب، من استكملها استكمل الإيمان بالقدر:

المرتبة الأولى: العلم، وأنَّ اللَّه عَلِم الأشياء كلَّها.

والمرتبة الثَّانية: الكتابة.

والمرتبة الثَّالثة: المشيئة، ما شاء اللَّه كان، وما لم يشأ لم يكن.

والمرتبة الرَّابعة: الخلق والإيجاد، وأنَّ اللَّه خالق الأشياء كُلِّهَا،

(١) أخرجه: أبو داود، برقم (٤٦٩١)، وصححه الحاكم، برقم (٢٨٦) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأخرجه ابن ماجه في سننه من حديث جابر بن عبداللَّه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، برقم (٩٢).

ليس له شريك فِي الخلق والتَّدبير، فهذه مراتب القدر، أربع مراتب:

علم اللَّه بالأشياء، علمه محيط بكلِّ شيء، قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ٧٥﴾ [الأنفال: ٧٥]، وقال: ﴿لِّتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢﴾ [الطَّلاق: ١٢]، وهذا علمه القديم، إذْ لم يزل موصوفًا به أزلاً وأبدًا، لا يعزب عن علمه شيء: ﴿وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [يُونس: ٦١].

فجميع الحوادث والكائنات فِي الدُّنيا والآخرة كلّها معلومة له، لا تخفى عليه خافِية -جلَّ وعلا-.

وهي مكتوبة أيضًا، مع العلم كتابة، كما قال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٧٠﴾ [الحَجّ: ٧٠]، قال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٢٢﴾ [الحَديد: ٢٢].

وقال النَّبِيُّ ﷺ: «**كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الخَلائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ**»[(١)]، كتب فِي اللوح المحفوظ كل شيء، جرى القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة، قال النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ قَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ**»[(٢)].

فالدرجة الأولى من القدر: تشتمل على مرتبتين: هما العلم،

---

(١) أخرجه عن عبداللَّه بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما مسلم (٢٦٥٣).

(٢) هذا طرف من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه، أخرجه: أبو داود برقم (٤٧٠٠)، والترمذي، برقم (٢١٥٥)، وقال الترمذي: وهذا حديث غريب من هذا الوجه، وصححه الألباني في الصحيحة، برقم (١٣٣).

والكتابة.

والدرجة الثَّانية: تشتمل شيئين أيضًا: المشيئة، والخلق والإيجاد، فمشيئة اللَّه نافذةٌ، ما شاء اللَّه كان وما لم يشأ لم يكن، وهو الخالق لكلِّ شيء -جلَّ وعلا- كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الرّعد: ١٦]، فهو سبحانه علم الأشياء، وكتبها، وهو الخالق لَها ما شاء اللَّه كان، وما لم يشأ لم يكن.

والعباد لهم أفعال هم لَها فاعلون، أي: لهم أفعال حقيقة منسوبة لهم، فالعبد هو المصلي، والصائم، وهو الحاج، وهو الزاني، والسارق، وهو البائع والمشتري، وهو الناكح والمطلِّق، إلى غير ذلك، فلهم أفعال، واللَّه سبحانه خالقهم وخالق أفعالهم، كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصَّافات: ٩٦].

وهو سبحانه يحب المتقين، والمحسنين، والمقسطين، ولا يرضى عن القوم الفاسقين، ولا يحب الكافرين، ولا يرضى لعباده الكفر، ولا يحب الفساد، فيحب الخير وأهله، ويكره الشَّر وأهله، يحب الإيمان والتقوى، ويكره الفساد والكفر والضلال، وكل عبدٍ ميسَّر لما خُلق له، ولما سَأل الصَّحابة رضي الله عنهم النَّبيَّ ﷺ إن كانت الأمور مقدرة ومكتوبة ففيم العمل؟ قال: «**اعْمَلُوا؛ فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ، أما أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَة، وأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ**»[(١)].

(١) هذا طرف من حديث علي رضي الله عنه، متفق عليه البخاري، برقم (٤٩٤٥)، ومسلم، برقم (٢٦٤٧).

فالدرجة الأولى: وهي علم اللَّه قد كان ينكرها غلاة القدرية قديمًا، ثم رجعوا عن ذلك، ومنكروها اليوم قليل، كما ذكر المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ.

وأمَّا الدَّرجة الثَّانية: كونه خالق الأشياء، وكون مشيئته نافذة، فهذا يُكَذِّب به عامة القدرية من المعتزلة وغيرهم، وقد سمَّاهم النَّبِيّ ﷺ: «**مَجُوسُ هَذِهِ الأُمَّةِ**»، المجوس هم الَّذين يقولون: إنَّ للعالم خالقين:

النَّور: وهو خالق الخير، والظُّلمة: وهو خالق الشَّر، وهؤلاء من جنس الَّذين أشركوا العباد في الأفعال، وقالوا: إنَّ العباد يخلقون أفعالهم، وأنَّها ليست مقدَّرة عليهم؛ بل هم الَّذين يفعلونها، واللَّه ليس خالقًا لَها، وهذا من جهلهم وضلالهم، وهم بهذا قد كذّبوا اللَّهَ ورسولَه، وصاروا بهذا كافرين.

ومن القدَرية المُجبِرة: وهم الجهمية وأشباههم، الَّذين يقولون: إنَّ العبدَ مجبور ليس له فعل ولا له اختيار، وهؤلاء أيضًا ضالون، وهم الجهمية نفاة الصِّفات، جمعوا مع القول بنفي الصِّفات: القول بالجبر، إنَّ العبدَ مجبور ليس له فعل ولا اختيار، وهؤلاء كلهم طوائف ضالة: الجهمية، المعتزلة، القدرية، ومنهم: الشِّيعة الإمامية؛ لأنَّهم معتزلة نفاة للقدر.

والقدر له تفصيل: القدر السَّابق، قَدَرٌ حصل، ومنه قدر مفصَّل، وهو التَّقدير للجنين فِي بطن أُمِّه، والتَّقدير الَّذي يكون فِي ليلة القدر، والتَّقدير الَّذي وقع حين خلق آدم، ومسح اللَّه ذريته من ظهره، وهذا تقدير مفصّل: التَّقدير العُمّري، والتَّقدير السَّنوي في ليلة

القدر، والتَّقدير اليومي، كلُّها تفاصيل للقدر السَّابق، لا يخرج جنينٌ ولا غيره عمَّا كُتب له فِي القدر السَّابق.

هذا بحث عظيم ينبغي حفظه وضبطه؛ لأنَّ به تُخالِف جميع فِرَق البدع والضلالة، من القدرية النفاة، والمُجبِرة، وتعتقد اعتقاد النَّبِيّ ﷺ والصَّحابة رضي اللَّه عنهم وأرضاهم.

❀ ❀ ❀

[حَدُّ الإيمان، وحكم مرتكب الكبيرة]

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وَمِنْ أُصُولِ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ: أَنَّ الدِّينَ وَالْإِيمَانَ: قَوْلٌ، وَعَمَلٌ.

- قَوْلُ: الْقَلْبِ، وَاللِّسَانِ.

- وَعَمَلُ: الْقَلْبِ، وَاللِّسَانِ، وَالْجَوَارِحِ.

وَأَنَّ الْإِيمَانَ: يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ، وَيَنْقُصُ بِالْمَعْصِيَةِ.

وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ، لَا يُكَفِّرُونَ أَهْلَ الْقِبْلَةِ بِمُطْلَقِ الْمَعَاصِي وَالْكَبَائِرِ، كَمَا تَفْعَلُهُ «الْخَوَارِجُ»، بَلْ الْأُخُوَّةُ الْإِيمَانِيَّةُ ثَابِتَةٌ مَعَ الْمَعَاصِي، كَمَا قَالَ ﷻ فِي آيَةِ الْقِصَاصِ: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾ [البقرة: ١٧٨]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ﴾ [الحجرات: ٩-١٠].

وَلَا يَسْلُبُونَ الْفَاسِقَ الْمِلِّيَّ اسْمَ الْإِيمَانِ بِالْكُلِّيَّةِ، وَلَا يُخَلِّدُونَهُ فِي النَّارِ، كَمَا تَقُولُهُ «الْمُعْتَزِلَةُ»، بَلِ الْفَاسِقُ يَدْخُلُ فِي اسْمِ الْإِيمَانِ، فِي مِثْلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ [النساء: ٩٢]، وَقَدْ لَا يَدْخُلُ فِي اسْمِ الْإِيمَانِ الْمُطْلَقِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال: ٢]، وَقَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَنْتَهِبُ نُهْبَةً ذَاتَ شَرَفٍ

يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ».

وَيَقُولُونَ: هُوَ مُؤْمِنٌ نَاقِصُ الْإِيمَانِ، أَوْ مُؤْمِنٌ بِإِيمَانِهِ، فَاسِقٌ بِكَبِيرَتِهِ؛ فَلَا يُعْطَى الِاسْمُ الْمُطْلَقُ، وَلَا يُسْلَبُ مُطْلَقُ الِاسْمِ».

قال الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا بحث عظيم من عقائد أهل السُّنَّة والجماعة، أنَّ الإيمان: قول وعمل؛ قول القلب واللِّسان، وعمل بالجوارح، هذا الَّذي عليه أهل السُّنَّة والجماعة، خلافًا للمرجئة، والخوارج أيضًا يوافقون على هذا الحدِّ؛ لكن عندهم الإيمان لا يزيد ولا ينقص.

وهكذا المعتزلة عندهم لا يزيد ولا ينقص؛ بل إما يوجد كُلُّه، أو يذهب كُلُّهُ، ولهذا كفروا بالعاصي، وخلدوا فاعلها في النَّار، والمعتزلة وافقتهم على ذلك فِي حكم الآخرة، وجعلوا العاصي مخلدًا فِي النَّار، والمرجئة أخرجوا العمل من الإيمان، وقالوا: إنَّه قول فقط، أو تصديق فقط، أو التَّصديق والقول، وكلُّ الطَّوائف المذكورة كلّها غالطة وضالة عن السَّبيل.

والصَّواب الَّذي عليه أهل السُّنَّة والجماعة: أنَّ الإيمان قول وعمل، قول بالقلب واللِّسان، وعمل بالقلب وبالجوارح.

فالمحبَّة لِلَّه، والخوف منه، والإخلاص له؛ عملٌ قلبي، والتَّصديق عمل قلبي، والتَّسبيح والتَّهليل والذِّكر عمل لساني، والصَّلاة، والزَّكاة، والصِّيام، والحجّ، والجهاد، من عمل الجوارح.

ومن عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة: أنَّهم لا يَسلُبون الفاسق الْمِلِّي - المنتسب لملة الإسلام - اسمَ الإيمان بالكُليَّة، ولا يخلُّدونه فِي النَّار، فلا يسلبونه الإيمان كالخوارج، ولا يخلدونه في النَّار

كالمعتزلة؛ بل الفاسق يدخل فِي اسم الإيمان المطلق، مثل ما فِي قوله تعالى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ [النِّسَاء: ٩٢]، ومثل قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ [التوبة: ١١٩]، فيدخل في خطاب ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، أمَّا فِي مقام المدح والثَّناء فلا يدخل، كقوله -جلَّ وعلا-: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢﴾ [الأنفال: ٢].

ولا يدخل فِي قوله ﷺ: «**لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ**»[(١)]، «**لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الخُدُودَ، أَوْ شَقَّ الْجُيُوبَ، أَوْ دَعَا بِدَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ**»[(٢)]، إلى أشباه ذلك.

وبهذا يعلم أنَّ المؤمن الكامل لا يدخل فِي حكم المذمومين، والمؤمن النَّاقص يدخل فِي المذمومين، فقوله: «**لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلا يَسْرِقُ السَّارِقُ...**» إلى آخره؛ لأنَّه ناقص الإيمان، «**وَهُوَ مُؤْمِنٌ**» يعني: الإيمان الكامل، فالمؤمنون الكُمَّل يخرج منهم الفسقة.

والمسلم الذي يخاطَب بالإيمان يدخل فيه الفاسق، كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [البَقَرَة: ١٠٤]، وفِي قوله ﷺ: «**المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ**»[(٣)] يدخل فِي هذا الفاسق، وغير الفاسق؛ لكن

(١) متفق عليه، البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه برقم (٦٧٨٢)، ومسلم برقم (٥٧).
(٢) متفق عليه من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: البخاري برقم (١٢٩٧، ١٢٩٤)، ومسلم: برقم (١٠٣).
(٣) متفق عليه من حديث ابن عمر رضي الله عنه، البخاري برقم (٢٤٤٢)، ومسلم: برقم (٢٥٨٠).

إذا جاء الإيمان مطلقًا مع المدح لم يدخل فِيه الفاسق، ومع الإطلاق يدخل الفاسق، كما مرّ، مثل قوله: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ﴾ [البَقَرَة: ١٧٨]، سمَّاه أخًا وهو قاتل، وقال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحُجرَات: ١٠]، وقد بغى بعضهم على بعض، ومع ذلك سمَّاهم إخوة.

والخُلاصة: أنَّ الفاسق يدخل فِي اسم الإيمان المطلق: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [البَقَرَة: ١٠٤]، ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ [النِّسَاء: ٩٢]، وأشباه ذلك، ولا يدخل فِي الإيمان الكامل الَّذي مُدِح أهله؛ لأنَّ فسقه بالمعصية أزال عنه كمال الإيمان، فَيُسمَّى مُسلمًا، ويُسمَّى مؤمنًا ناقص الإيمان، أو يُسمَّى مؤمنًا بإيمانه، فاسقًا بكبيرته، فلا يعطى الاسم المطلق (مؤمن)، ولا يسلب مطلق الاسم، فلا يقال: مؤمن كامل الإيمان، ولا يقال: ليس بمؤمن، إلَّا بهذا القصد، بنية أنَّه ليس بمؤمن كامل، وبهذا يردّ على المعتزلة والخوارج، ويصير المؤمن على عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة فِي هذا الباب العظيم، الَّذي ضلت فِيه أفهام وزلت فِيه أقدام.

❋ ❋ ❋

[اعتقاد أهل السُّنَّة فِي الصَّحابة وآل البيت رضي الله عنهم أجمعين]

قال المؤلف رحمه الله:

«وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ: سَلَامَةُ قُلُوبِهِمْ وَأَلْسِنَتِهِمْ لِأَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ، كَمَا وَصَفَهُمُ اللَّهُ بِهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر: ١٠]، وَطَاعَةً لِلنَّبِيِّ ﷺ فِي قَوْلِهِ: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي؛ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ؛ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا؛ مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ»(١).

وَيَقْبَلُونَ مَا جَاءَ بِهِ الْكِتَابُ أَوِ السُّنَّةُ أَوِ الْإِجْمَاعُ، مِنْ فَضَائِلِهِمْ وَمَرَاتِبِهِمْ:

فَيُفَضِّلُونَ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ - وَهُوَ صُلْحُ الْحُدَيْبِيَةِ - وَقَاتَلَ عَلَى مَنْ أَنْفَقَ مِنْ بَعْدِهِ وَقَاتَلَ.

وَيُقَدِّمُونَ الْمُهَاجِرِينَ عَلَى الْأَنْصَارِ.

وَيُؤْمِنُونَ: بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لِأَهْلِ بَدْرٍ - وَكَانُوا ثَلَاثَمِائَةٍ وَبِضْعَةَ عَشَرَ -: «اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ»(٢) وَبِأَنَّهُ: «لَا

---

(١) أخرجه البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه برقم (٣٦٧٣)، ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه برقم (٢٥٤٠).

(٢) متفق عليه من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه البخاري برقم (٣٠٠٧)، ومسلم برقم (٢٤٩٤).

يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ»[١]؛ كَمَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ، بَلْ قَدْ رَضِيَ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ، وَكَانُوا أَكْثَرَ مِنْ أَلْفٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ.

وَيَشْهَدُونَ بِالْجَنَّةِ لِمَنْ شَهِدَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ؛ كَالْعَشَرَةِ، وَكَثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شِمَاسٍ، وَغَيْرِهِمْ مِنَ الصَّحَابَةِ.

وَيُقِرُّونَ بِمَا تَوَاتَرَ بِهِ النَّقْلُ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه وَغَيْرِهِ؛ مِنْ أَنَّ: خَيْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا: أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، وَيُثَلِّثُونَ بِعُثْمَانَ، وَيُرَبِّعُونَ بِعَلِيٍّ رضي الله عنهم؛ كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الْآثَارُ[٢].

وَكَمَا أَجْمَعَتِ الصَّحَابَةُ عَلَى تَقْدِيمِ عُثْمَانَ فِي الْبَيْعَةِ، مَعَ أَنَّ بَعْضَ أَهْلِ السُّنَّةِ كَانُوا قَدْ اخْتَلَفُوا فِي عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ بَعْدَ اتِّفَاقِهِمْ عَلَى تَقْدِيمِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ؛ أَيُّهُمَا أَفْضَلُ؟

- فَقَدَّمَ قَوْمٌ عُثْمَانَ، وَسَكَتُوا، أَوْ رَبَّعُوا بِعَلِيٍّ.
- وَقَدَّمَ قَوْمٌ عَلِيًّا.
- وَقَوْمٌ تَوَقَّفُوا.

لَكِنِ اسْتَقَرَّ أَمْرُ أَهْلِ السُّنَّةِ عَلَى: تَقْدِيمِ عُثْمَانَ، ثُمَّ عَلِيٍّ.

وَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةُ - مَسْأَلَةُ عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ - لَيْسَتْ مِنَ الْأُصُولِ الَّتِي يُضَلَّلُ الْمُخَالِفُ فِيهَا عِنْدَ جُمْهُورِ أَهْلِ السُّنَّةِ.

لَكِنَّ الْمَسْأَلَةَ الَّتِي يُضَلَّلُ الْمُخَالِفُ فِيهَا: مَسْأَلَةُ الْخِلَافَةِ، وَذَلِكَ بِأَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ: بِأَنَّ الْخَلِيفَةَ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ، ثُمَّ عَلِيٌّ، رضي الله عنهم.

---

(١) أخرجه عن أم مبشر رضي الله عنها مسلم، برقم (٢٤٩٦).
(٢) أخرجه أحمد برقم (٨٣٧).

وَمَنْ طَعَنَ فِي خِلَافَةِ أَحَدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ الْأَئِمَّةِ؛ فَهُوَ أَضَلُّ مِنْ حِمَارِ أَهْلِهِ.

وَيُحِبُّونَ أَهْلَ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَيَتَوَلَّوْنَهُمْ، وَيَحْفَظُونَ فِيهِمْ وَصِيَّةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ حَيْثُ قَالَ يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ: «أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي»(١) وَقَالَ أَيْضًا لِلْعَبَّاسِ عَمِّهِ؛ وَقَدْ شَكَا إِلَيْهِ أَنَّ بَعْضَ قُرَيْشٍ يَجْفُو بَنِي هَاشِمٍ؛ فَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ؛ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحِبُّوكُمْ لِلَّهِ وَلِقَرَابَتِي»(٢)، وَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ كَنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ كَنَانَةَ قُرَيْشًا، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ»(٣).

وَيَتَوَلَّوْنَ أَزْوَاجَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَيُقِرُّونَ: بِأَنَّهُنَّ أَزْوَاجُهُ فِي الْآخِرَةِ، خُصُوصًا خَدِيجَةَ أُمَّ أَكْثَرِ أَوْلَادِهِ، وَأَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِهِ وَعَاضَدَهُ عَلَى أَمْرِهِ، وَكَانَ لَهَا مِنْهُ الْمَنْزِلَةُ الْعَلِيَّةُ، وَالصِّدِّيقَةَ بِنْتَ الصِّدِّيقِ الَّتِي قَالَ فِيهَا النَّبِيُّ ﷺ: «فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ»(٤).

وَيَتَبَرَّؤُونَ مِنْ: طَرِيقَةِ الرَّوَافِضِ الَّذِينَ يُبْغِضُونَ الصَّحَابَةَ وَيَسُبُّونَهُمْ.

- وَطَرِيقَةِ النَّوَاصِبِ، الَّذِينَ يُؤْذُونَ أَهْلَ الْبَيْتِ، بِقَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٤٠٨)، من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه.
(٢) أخرجه عن عبدالملطلب بن أبي ربيعه رضي الله عنه أحمد برقم (١٧٧٧)، والترمذي برقم (٣٧٥٨)، وصححه الحاكم في المستدرك برقم(٧١٥٦).
(٣) أخرجه من حديث وائلة بن الأسقع رضي الله عنه مسلم برقم (٢٢٧٦).
(٤) أخرجه من حديث أبي موسى رضي الله عنه مسلم برقم (٢٤٣١).

وَيُمْسِكُونَ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَ الصَّحَابَةِ، وَيَقُولُونَ: إِنَّ هَذِهِ الْآثَارَ الْمَرْوِيَّةَ فِي مَسَاوِيهِمْ:

مِنْهَا: مَا هُوَ كَذِبٌ.

وَمِنْهَا: مَا قَدْ زِيدَ فِيهِ وَنُقِصَ، وَغُيِّرَ عَنْ وَجْهِهِ.

وَالصَّحِيحُ مِنْهُ: هُمْ فِيهِ مَعْذُورُونَ:

- إِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُصِيبُونَ.

- وَإِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُخْطِئُونَ.

وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ لَا يَعْتَقِدُونَ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ مَعْصُومٌ عَنْ كَبَائِرِ الْإِثْمِ وَصَغَائِرِهِ، بَلْ تَجُوزُ عَلَيْهِمُ الذُّنُوبُ فِي الْجُمْلَةِ.

وَلَهُمْ مِنَ السَّوَابِقِ وَالْفَضَائِلِ مَا يُوجِبُ مَغْفِرَةَ مَا يَصْدُرُ مِنْهُمْ إِنْ صَدَرَ.

حَتَّى إِنَّهُ يُغْفَرُ لَهُمْ مِنَ السَّيِّئَاتِ مَا لَا يُغْفَرُ لِمَنْ بَعْدَهُمْ، لِأَنَّ لَهُمْ مِنَ الْحَسَنَاتِ الَّتِي تَمْحُو السَّيِّئَاتِ مَا لَيْسَ لِمَنْ بَعْدَهُمْ، وَقَدْ ثَبَتَ بِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّهُمْ خَيْرُ الْقُرُونِ»(١)، وَأَنَّ «الْمُدَّ مِنْ أَحَدِهِمْ إِذَا تَصَدَّقَ بِهِ؛ كَانَ أَفْضَلَ مِنْ جَبَلِ أُحُدٍ ذَهَبًا مِمَّنْ بَعْدَهُمْ»(٢)، ثُمَّ إِذَا كَانَ قَدْ صَدَرَ عَنْ أَحَدِهِمْ ذَنْبٌ؛ فَيَكُونُ قَدْ تَابَ مِنْهُ أَوْ أَتَى بِحَسَنَاتِ تَمْحُوهُ، أَوْ غُفِرَ لَهُ بِفَضْلِ سَابِقَتِهِ، أَوْ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ الَّذِينَ هُمْ أَحَقُّ النَّاسِ بِشَفَاعَتِهِ. أَوْ ابْتُلِيَ بِبَلَاءٍ فِي الدُّنْيَا كُفِّرَ بِهِ عَنْهُ.

---

(١) خيرية قرن الصحابة رضي الله عنهم، ووردت في الصحيحين عن عدد من الصحابة، أخرجها البخاري برقم (٢٦٥١)، (٢٦٥٢)، ومسلم برقم (٢٥٣٥) عن عمران بن حصين رضي الله عنه.

(٢) أخرجه من حديث أبي سعيد رضي الله عنه البخاري برقم (٣٦٧٣)، ومسلم برقم (٢٥٤١).

فَإِذَا كَانَ هَذَا فِي الذُّنُوبِ الْمُحَقَّقَةِ؛ فَكَيْفَ بِالْأُمُورِ الَّتِي كَانُوا فِيهَا مُجْتَهِدِينَ: إِنْ أَصَابُوا؛ فَلَهُمْ أَجْرَانِ، وَإِنْ أَخْطَأُوا؛ فَلَهُمْ أَجْرٌ وَاحِدٌ، وَالْخَطَأُ مَغْفُورٌ.

ثُمَّ الْقَدْرُ الَّذِي يُنْكَرُ مِنْ فِعْلِ بَعْضِهِمْ قَلِيلٌ نَزْرٌ مَغْمُورٌ فِي جَنْبِ فَضَائِلِ الْقَوْمِ وَمَحَاسِنِهِمْ، مِنْ: الْإِيمَانِ بِاَللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ، وَالْهِجْرَةِ، وَالنُّصْرَةِ، وَالْعِلْمِ النَّافِعِ، وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ.

وَمَنْ نَظَرَ فِي سِيرَةِ الْقَوْمِ بِعِلْمٍ وَبَصِيرَةٍ، وَمَا مَنَّ اللَّهُ بِهِ عَلَيْهِمْ مِنَ الْفَضَائِلِ؛ عَلِمَ يَقِينًا أَنَّهُمْ خَيْرُ الْخَلْقِ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ، لَا كَانَ وَلَا يَكُونُ مِثْلُهُمْ.

وَأَنَّهُمْ هُمْ صَفْوَةُ الصَّفْوَةِ مِنْ قُرُونِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، الَّتِي هِيَ خَيْرُ الْأُمَمِ وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللَّهِ».

قال الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا الفصل من أفضل وأهم فصول هذا الكتاب، فِي شأن الصَّحابة رضي الله عنهم وأرضاهم، فيه الرَّدُ على الرَّافضة، والرَّدُ على النَّواصب، وفيه بيان فضلهم ومنزلتهم رضي الله عنهم وأرضاهم، وهو فصل عظيم أجاد فِيه المؤلف وأحسن، بعبارات واضحة بيِّنة، فمِن عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة رضي الله عنهم وأرضاهم: سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول اللَّه ﷺ، فقلوبهم سالمة، يُحبونهم ويترضون عنهم؛ لأنَّ حبَّهم دينٌ رضي الله عنهم وأرضاهم؛ لأنَّهم حَمَلة الشَّرع لنا، وخير القرون، فحبّهم دِينٌ، فأهل السُّنَّة والجماعة يُحبونهم فِي اللَّه، وقلوبهم سالمة نحوهم؛ بل مملوءة بحبِّهم، وألسنتهم سالمة فلا يسبونهم ولا يعيبونهم؛ بل يترضون عنهم، ويدعون لهم طاعة لِلَّه،

قال اللَّه -جلَّ وعلا-: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾ [الحشر: ١٠]، ويحفظون فيهم وصيَّة رسول اللَّه ﷺ بهم حيث قال: «**لَاتَسُبُّوا أَصْحَابِي، لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلا نَصِيفَهُ**»[(١)].

فأهل السُّنَّة والجماعة هذه صفتهم؛ قلوبهم وألسنتهم سالمة لأصحاب رسول اللَّه ﷺ، فهم رضي الله عنهم زبدة الأمة بعد الأنبياء عليهم السلام لا كان ولا يكون مثلهم رضي اللَّه عنهم وأرضاهم، فالواجب حبّهم فِي اللَّه، والتَّرضي عنهم، والكفّ عن مساوئهم فيما شجر بينهم، والإيمان بأنَّهم خير القرون، وأنَّ أفضلهم الخلفاء الرَّاشدون: الصِّديق، ثُمَّ عمر، ثُمَّ عثمان، ثُمَّ علي، وإن كان بعض الصَّحابة قد تنازع فِي تقديم عثمان على علي أو العكس؛ ولكن استقر أمر أهل السُّنَّة أنَّ عثمان هو الثَّالث، وأنَّ عليًا هو الرَّابع فِي الخلافة والفضل، فهكذا ينبغي لأهل السُّنَّة والجماعة أن يكونوا بهذا الاعتقاد، وأن يتبرؤوا من طريقة الرَّوافض الَّذين يَسبون الصَّحابة ويؤذونهم، وطريقة النَّواصب الَّذين يؤذون أهل البيت بقول أو عمل، فينبغي لأهل السُّنَّة أن يبتعدوا عن هذا الخُلق الذَّميم.

وكذلك يشهدون لمن شهد له الرَّسول ﷺ بالجنَّة كالعشرة، وثابت بن قيس بن شماس، وعبداللَّه بن سلام[(٢)]، وعكاشة بن

(١) سبق تخريجه في (ص١١٦).

(٢) متفق عليه عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه البخاري برقم (٣٨١٢)، ومسلم برقم (٢٤٨٣).

محصَن[(١)]، وجماعة شهد لهم النَّبِيّ ﷺ، فمن ثبت أنَّه شهد له النَّبِيّ ﷺ يشهد له.

كذلك يؤمنون بما ثبت فِي أهل بدر، حيث قال اللَّه لهم: «**اعْمَلُوا مَا شِئْتُم فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ**»[(٢)]، وبأنَّه لا يدخل النَّار أحد بايع تحت الشَّجرة بيعة الرِّضوان؛ لأنَّه ثبت عنه ﷺ: «**لَا يَدْخلُ النَّارَ أَحَدٌ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ**»[(٣)]، وأنزل اللَّه فِيهم: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾﴾ [الفتح: ١٨]، كلُّ هذا من عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة.

ويؤمنون بأنَّ الصَّحابة كلّهم خير الأمَّة وأفضلها، وأن ما قد يُنقل عن بعضهم من أشياء تُنتقد فهو نزر قليلٌ فِي جنب ما أعطاهم اللَّه من الخير العظيم، في جنب فضائلهم وأعمالهم العظيمة، فهو إمَّا أن يكون قد تاب منه، أو أَتى بحسنات تمحو، أو غُفِر له بفضل سابقته، أو بشفاعة محمَّد ﷺ الَّذي هم أحقُّ النَّاس بشفاعته، أو ابتلي ببلاء فِي الدُّنيا من مرض، أو غيره كُفِّر به عنه.

هكذا أهل السُّنَّة والجماعة فِي هذه المسائل الَّتي ذكرها المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ، فينبغي للمؤمن أن يحفظ هذا الفصل جيدًا، وأن يعمل بمعناه، وأن تكون عقيدته راسخة؛ حتَّى يخالف بها جميع أهل البدع من الرَّوافض والنَّواصب، وغيرهم من أهل البدع الَّذين ساءت

(١) متفق عليه عن عبداللَّه بن عباس البخاري برقم (٦٥٤١)، ومسلم برقم (٢٢٠).
(٢) سبق تخريجه في (١١٦).
(٣) سبق تخريجه في (ص١١٦).

ظنونهم، أو غلوا فِي أهل البيت كالرَّوافض، أو ساءت ظنونهم وجفوا فِي حقِّهم كالخوارج والمعتزلة، وأشباههم ممَّن ساءت أقوالهم وأعمالهم فِي أصحاب رسول اللَّه ﷺ، وآله رضي اللَّه عنهم، نسأل اللَّه أن يرضى عنهم، ويجعلنا من أتباعهم بإحسانه.

❀ ❀ ❀

[الإيمان بكرامات أولياء اللَّه الصَّالحين المتقين]

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ: التَّصْدِيقُ بِكَرَامَاتِ الْأَوْلِيَاءِ، وَمَا يُجْرِي اللَّهُ عَلَى أَيْدِيهِمْ؛ مِنْ خَوَارِقِ الْعَادَاتِ، فِي:

- أَنْوَاعِ الْعُلُومِ.
- وَالْمُكَاشَفَاتِ.
- وَأَنْوَاعِ الْقُدْرَةِ.
- وَالتَّأْثِيرَاتِ.
- وَكَالْمَأْثُورِعَنْ سَالِفِ الْأُمَمِ، فِي «سُورَةِ الْكَهْفِ» وَغَيْرِهَا.
- وَعَنْ صَدْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَسَائِرِ قُرُونِ الْأُمَّةِ.

وَهِيَ مَوْجُودَةٌ فِيهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

ثُمَّ مِنْ طَرِيقَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ:

اتِّبَاعُ: آثَارِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَاطِنًا وَظَاهِرًا.

وَاتِّبَاعُ: سَبِيلِ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ، مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ.

وَاتِّبَاعُ: وَصِيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، حَيْثُ قَالَ: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا

بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»[١].

وَيَعْلَمُونَ: أَنَّ أَصْدَقَ الْكَلَامِ كَلَامُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَيُؤْثِرُونَ: كَلَامَ اللَّهِ عَلَى غَيْرِهِ مِنْ كَلَامِ أَصْنَافِ النَّاسِ، وَيُقَدِّمُونَ: هَدْيَ مُحَمَّدٍ ﷺ عَلَى هَدْيِ كُلِّ أَحَدٍ، وَبِهَذَا سُمُّوا: أَهْلَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

وَسُمُّوا أَهْلَ الْجَمَاعَةِ؛ لِأَنَّ الْجَمَاعَةَ هِيَ الاجْتِمَاعُ. وَضِدُّهَا الْفُرْقَةُ، وَإِنْ كَانَ لَفْظُ الْجَمَاعَةِ قَدْ صَارَ اسْمًا لِنَفْسِ الْقَوْمِ الْمُجْتَمِعِينَ.

وَالْإِجْمَاعُ: هُوَ الْأَصْلُ الثَّالِثُ؛ الَّذِي يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ فِي الْعِلْمِ وَالدِّينِ، وَهُمْ يَزِنُونَ بِهَذِهِ الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ جَمِيعَ مَا عَلَيْهِ النَّاسُ مِنْ أَقْوَالٍ وَأَعْمَالٍ بَاطِنَةٍ أَوْ ظَاهِرَةٍ، مِمَّا لَهُ تَعَلُّقٌ بِالدِّينِ.

وَالْإِجْمَاعُ الَّذِي يَنْضَبِطُ: هُوَ مَا كَانَ عَلَيْهِ السَّلَفُ الصَّالِحُ؛ إِذْ بَعْدَهُمْ كَثُرَ الِاخْتِلَافُ، وَانْتَشَرَتِ الْأُمَّةُ».

قال الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ:

من أصول أهل السُّنَّة والجماعة: التَّصديق بكرامات الأولياء، وما ذكر اللَّه عنهم، وما ذكره رسول اللَّه ﷺ، وما جرى بعد ذلك، والكرامة: هي الخارق للعادة، يجري على أيديهم شيء يخرق العادة، ليس فِي العادة وجوده على يد المخلوق، يقال لَها كرامة؛ إذا كان الشَّخص من أولياء اللَّه المؤمنين الصَّادقين، فإن كان من غيرهم فهو من خوارق السَّحرة، ومن خوارق الشَّياطين، أمَّا ما كان

(١) طرف من حديث العرباض بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أخرجه: أبو داود في سننه، برقم (٤٦٠٧)، والترمذي في سننه برقم(٢٦٧٦)، وقال: «حديث حسن صحيح»، وابن ماجه في سننه، برقم (٤٢).

على يد المؤمنين فهذا من كرامات الأولياء، ولا تكون كرامة إلَّا إذا عُرف بالاستقامة على دِين اللَّه، مثل ما قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: «لو طار فِي الهواء، أو مشى على الماء، ما يعدُّ وليًا حتَّى يوزن بميزان الكتاب والسُّنَّة»[(١)] فإنَّ استقام على الكتاب والسُّنَّة فهو من أولياء اللَّه، وإلَّا فهو من أولياء الشَّيطان، كما قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا كَانُوٓاْ أَوْلِيَآءَهُۥٓ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [الأنفال: ٣٤]، وقال سبحانه: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝٦٣﴾ [يُونس: ٦٢-٦٣].

ومنهم أهل الكهف، أكرمهم اللَّه ثلاث مئة عام نُوَّم، وازدادوا تسعًا، ثُمَّ أماتهم اللَّه بعد ذلك، هذه آية من آيات اللَّه؛ لإيمانهم وتقواهم، جعلهم اللَّه آية وعبرة، وكما جرى لعَبَّاد بن بِشْر، وأُسَيد ابن حضير، الصَّحابيين الجليلين فِي عهد النَّبِيّ ﷺ، خرجا من عند النَّبِيِّ ﷺ فِي ليلة مُظلمة، فأضاءت لهما أسواطهما - كلّ واحد صار سوطه سراجًا ينير له - الطَّريق حتَّى وصل كلّ واحد إلى بيته[(٢)].

ومن ذلك: قصة الطُّفَيْل الدّوسي، رئيس دوْس، لما أسلم تأخر عليه قومه، قال: يا رسول اللَّه! أدع اللَّه أن يجعل لي آية لعلهم يهتدون، فسأل اللَّه له أن يجعل له آية يهتدي بها قومُه فجعل اللَّهُ بين عينيه مثل السراج لما أتى قومه، فقال: يا رب! فِي غير وجهي؛ فجعلها اللَّه فِي سوطه، إذا رفع سوطه أنار نورًا؛ فهدى اللَّه به قومه

(١) انظر: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (ص٤٥)، ومجموع الفتاوى (٢٥/ ٣١٤).

(٢) أخرجه عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ البخاري برقم (٣٨٠٥).

بأسبابه، وجاء بهم مسلمين[(١)].

والمقصود: أنَّ الشَّيء الخارق للعادة إن كان صاحبه متقيًا لِلَّه، معروفًا بالخير؛ فهي كرامة، وهم يتبعون في هذا الكتاب والسنة، وإن كان بخلاف ذلك فهي من مخاريق السَّحرة والشَّياطين.

ومن أصول أهل السنة والجماعة: اتِّباع آثار الرَّسول ﷺ، وما كان عليه خلفاؤه الرَّاشدون، هذه سنة أهل السُّنَّة والجماعة، ولهذا يقال لهم: أهل الكتاب والسُّنَّة، ويقال: أهل الجماعة، والجماعة: هي الاجتماع، وضدها الفرقة، وسُمُّوا أهل السُّنَّة والجماعة؛ لأنَّهم اجتمعوا على الكتاب والسُّنَّة وصدَّقوا بهما، ووزنوا الأمور بهما، فهؤلاء هم أهل السُّنَّة والجماعة؛ لأنَّهم اجتمعوا على تعظيم الكتاب والسُّنَّة، والأخذ بهما، وهم يَزنُون بهذه الأصول الثَّلاثة جميعَ ما عليه النَّاس من أقوال وأفعال:

الأصل الأول: الكتاب - القرآن العظيم -.

والأصل الثَّاني: السُّنَّة الصَّحيحة.

والأصل الثَّالث: الإجماع المنضبط إجماع السَّلف والصَّحابة، فكلّ قول وعمل يفعله النَّاس يوزن بهذه الأصول، فما وافقها قُبِلَ، وما خالفها رُدَّ على صاحبه كائنًا من كان.

❀ ❀ ❀

(١) انظر: معرفة الصحابة. لأبي نعيم (١١/ ١٧٥)، ودلائل النبوة (٥/ ٤٦٠).

[من صفات أهل السُّنَّة التَّحلي بمكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال]

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«ثُمَّ هُمْ مَعَ هَذِهِ الْأُصُولِ: يَأْمُرُونَ: بِالْمَعْرُوفِ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ، عَلَى مَا تُوجِبُهُ الشَّرِيعَةُ.

وَيَرَوْنَ إِقَامَةَ: الْحَجِّ، وَالْجِهَادِ، وَالْجُمَعِ، وَالْأَعْيَادِ؛ مَعَ الْأُمَرَاءِ؛ أَبْرَارًا كَانُوا، أَوْ فُجَّارًا.

وَيُحَافِظُونَ عَلَى: الْجَمَاعَاتِ، وَيَدِينُونَ: بِالنَّصِيحَةِ لِلْأُمَّةِ.

وَيَعْتَقِدُونَ: مَعْنَى قَوْلِهِ ﷺ: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا» وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ ﷺ[(١)]، وَقَوْلِهُ ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ؛ كَمَثَلِ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ؛ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالْحُمَّى وَالسَّهَرِ»[(٢)].

وَيَأْمُرُونَ: بِالصَّبْرِ عَلَى الْبَلَاءِ، وَالشُّكْرِ عِنْدَ الرَّخَاءِ، وَالرِّضَا بِمُرِّ الْقَضَاءِ.

وَيَدْعُونَ إِلَى: مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، وَمَحَاسِنِ الْأَعْمَالِ.

---

(١) متفق عليه من حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أخرجه: البخاري برقم (٤٨١)، ومسلم برقم (٢٥٨٥).

(٢) متفق عليه من حديث النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أخرجه البخاري برقم (٦٠١١)، ومسلم برقم (٢٥٨٦).

وَيَعْتَقِدُونَ: مَعْنَى قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا»(١).

وَيَنْدُبُونَ إِلَى: أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَك، وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَك، وَتَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَك.

وَيَأْمُرُونَ: بِبِرِّ الْوَالِدَيْنِ، وَصِلَةِ الْأَرْحَامِ، وَحُسْنِ الْجِوَارِ، وَالْإِحْسَانِ إِلَى: الْيَتَامَى، وَالْمَسَاكِينِ، وَابْنِ السَّبِيلِ، وَالرِّفْقِ بِالْمَمْلُوكِ.

وَيَنْهَوْنَ عَنْ الْفَخْرِ، وَالْخُيَلَاءِ، وَالْبَغْيِ، وَالِاسْتِطَالَةِ عَلَى الْخَلْقِ بِحَقٍّ أَوْ بِغَيْرِ حَقٍّ.

وَيَأْمُرُونَ: بِمَعَالِي الْأَخْلَاقِ، وَيَنْهَوْنَ عَنْ: سِفْسَافِهَا، وَكُلُّ مَا يَقُولُونَهُ أَوْ يَفْعَلُونَهُ مِنْ هَذَا أَوْ غَيْرِهِ؛ فَإِنَّمَا هُمْ فِيهِ مُتَّبِعُونَ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

وَطَرِيقَتُهُمْ: هِيَ دِينُ الْإِسْلَامِ؛ الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ بِهِ مُحَمَّدًا ﷺ، لَكِنْ لَمَّا أَخْبَرَ ﷺ: أَنَّ أُمَّتَهُ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً؛ كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً؛ وَهِيَ الْجَمَاعَةُ، وَفِي حَدِيثٍ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «هُمْ مَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي»(٢)؛ صَارَ الْمُتَمَسِّكُونَ بِالْإِسْلَامِ الْمَحْضِ الْخَالِصِ عَنْ الشَّوْبِ هُمْ «أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ».

وَفِيهِمْ: الصِّدِّيقُونَ، وَالشُّهَدَاءُ، وَالصَّالِحُونَ، وَمِنْهُمْ: أَعْلَامُ الْهُدَى، وَمَصَابِيحُ الدُّجَى أُولُوا الْمَنَاقِبِ الْمَأْثُورَةِ، وَالْفَضَائِلِ الْمَذْكُورَةِ، وَفِيهِمْ: الْأَبْدَالُ، وَمِنْهُمْ: الْأَئِمَّةُ؛ الَّذِينَ أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ

(١) أخرجه: أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه، برقم(٤٦٨٢)، والترمذي برقم (١١٦٢)، وقال: «هذا حديث حسن صحيح».

(٢) سبق تخريجه في (ص١٩).

عَلَى هِدَايَتِهِمْ وَدِرَايَتِهِمْ.

وَهُمُ الطَّائِفَةُ الْمَنْصُورَةُ، الَّذِينَ قَالَ فِيهِمُ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ؛ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ وَلَا مَنْ خَذَلَهُمْ، حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»(١).

فَنَسْأَلُ اللَّهَ الْعَظِيمَ أَنْ يَجْعَلَنَا مِنْهُمْ، وَأَنْ لَا يَزِيغَ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا، وَيَهَبَ لَنَا مِنْ لَدُنْهُ رَحْمَةً؛ إِنَّهُ هُوَ الْوَهَّابُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَوَاتُهُ وَسَلَامُهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَعَلَى سَائِرِ الْمُرْسَلِينَ وَالنَّبِيِّينَ، وَآلِ كُلٍّ وَسَائِرِ الصَّالِحِينَ».

قال الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذه الكلمات الَّتي ذكرها المؤلف عن أهل السُّنَّة والجماعة، كلمات عظيمة، تكتب بماء الذَّهب، ينبغي على كلِّ مؤمن أن يعتقدها، وأن يستقيم عليها، وأن يسير عليها؛ لأنَّها هي قول أهل السُّنَّة والجماعة، ولأنَّ القرآن العظيم والسُّنَّة المطهرة قد دلا على ذلك، فأهل السُّنَّة والجماعة موصوفون بكلِّ خير، يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، على ما توجبه الشَّريعة، متقيدين بالشَّرع، كما قال -جلَّ وعلا-: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [التوبة: ٧١].

وأهل السنة يرون إقامة صلاة الجمعة والأعياد، والجهاد، مع الأمراء - أبرارًا كانوا أو فجارًا - لما فِي هذا من استقامة

(١) متفق عليه من حديث المغيرة بن شعبه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ البخاري برقم (٧٣١١)، ومسلم برقم (١٩٢٣).

الجهاد، وأَمنِ البلاد، واتحاد الكلمة، فوِزْرُ الأمير ومعاصيه عليه، ولو كان عنده بعض المعاصي، فَيُصلُّون معه الجُمَع والجماعات، ويجاهدون معه، كما جرى فِي عهد بني أمية، وبني العباس، وغيرهم.

ويأمرون ببر الوالدين، وصلة الأرحام، وحسن الجوار، ويدعون إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، ويدعون إلى أن تصل من قطعك، وتعفو عمَّن ظلمك، وتعطي من حرمك، ويعتقدون ما قاله النَّبِيُّ ﷺ: «**مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، كَمَثَلُ الجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بِالحُمَّى وَالسَّهَرِ**»(١)، وقوله ﷺ: «**الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا**»(٢)، وقوله ﷺ: «**أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا**»(٣) كلُّ هذا يعتقده أهل السُّنَّة والجماعة، وهم في كلِّ ما يقولون ويفعلون متقيِّدون بالكتاب والسُّنَّة، ليس لهم هدف آخر؛ بل أقوالهم وأعمالهم مقيَّدة بالكتاب والسُّنَّة؛ ولهذا سُمُّوا أهل السُّنَّة، وسمَّوا أهل الجماعة، وسمُّوا أهل الكتاب والسُّنَّة؛ لأنَّهم اجتمعوا على ذلك وتعاقدوا على ذلك، وتعاونوا على ذلك، وفيهم أئمة الهُدى والعلم، الَّذين استقاموا على الدِّين، وتقيَّدوا بالشَّرع، كلّهم داخلون في أهل السُّنَّة والجماعة، وفيهم الأبدال، وهم الَّذين يبدل بعضهم بعضًا، يعني: العلماء الَّذين يَخلُف بعضهم بعضًا، وينوب بعضهم عن بعض، كلما هلك عالم، جاء بعده عالم حتَّى يرث اللَّه الأرض ومن

(١) مسلم عن النعمان بن بشسر رضي الله عنه برقم (٢٥٨٦).
(٢) مسلم عن أبي موسى رضي الله عنه برقم (٢٥٨٥).
(٣) أخرجه عن أبي هريرة رضي الله عنه أبو داود برقم (٤٦٨٢)، والترمذي برقم (١١٦٢).

عليها، هذا حال هذه الأمَّة، كما قال ﷺ: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِن أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَن خَالَفَهُمْ وَلَا مَن خَذَلَهُمْ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ**»[(١)] يعني: حتَّى يقرب قيامها بمجيء الرِّيح الطيِّبَة الَّتي تقبض أرواح المؤمنين والمؤمنات، حتَّى لا يبقى إلَّا الأشرار؛ فعليهم تقوم السَّاعة، نسأل اللَّه أن لا يجعلنا وإيَّاكم منهم، وأن يعيذنا وإيَّاكم من شرِّ أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، وأن ينصر دينه ويعلي كلمته.

ولا حول ولا قوة إلَّا باللَّه، وصلَّى اللَّه وسلَّم على عبده ورسوله نبيّنا محمَّد وعلى آله وصحبه.

❋ ❋ ❋

(١) سبق تخريجه في (ص١٣٠).

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة مؤسسة عبدالعزيز بن باز الخيرية:	٥
تعريف مؤجزة للشيخ ابن باز:	٧
تعريف الشارح بالرسالة ومؤلفها:	١٥
شرح مقدمة المؤلف:	١٧
الإيمان بإثبات صفات اللَّه تعالى:	٢٥
جمع اللَّه في وصفه نفسه بين النفي والإثبات:	٣١
الإيمان بأولية اللَّه وأزليته، وإثبات علمه وسمعه وبصره:	٣٥
ذكر بعض ما جاء في القرآن من صفات الخالق كالمحبة والرحمة:	٣٩
ذكر بعض صفات اللَّه الفعلية والذاتية مما جاء في القرآن:	٤٣
إثبات الوحدانية للَّه تعالى ونفي الشريك عنه:	٤٧
إثبات علو اللَّه على خلقه:	٥٣
صفة الكلام والقول للَّه تعالى:	٥٨
الإيمان بما وصف به الرسول ﷺ ربه ﷻ:	٦٢
إثبات صفة النزول والفرح والضحك والعجب والقدم:	٦٣
إثبات صفة الكلام والصوت والاستواء والمعية:	٦٧
إثبات علو اللَّه فوق عرشه لا ينافي قربه ومعيته مع خلقه:	٧٠
وسطية أهل السنة:	٧٦
وجوب الإيمان بأن اللَّه فوق السموات مستو على العرش:	٨٠
الإيمان بقربه لا ينافي علوه وفوقيته:	٨٣
الإيمان بأن القرآن كلام اللَّه:	٨٥
الإيمان بأن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة:	٨٧
الإيمان بفتنة القبر وعذابه ونعيمه:	٨٩
الإيمان باليوم الآخر:	٩١

الموضوع رقم الصفحة

الإيمان بالحوض والصراط: ٩٥
دخول الجنة وشفاعاته ﷺ: ١٠٠
الإيمان بالقدر ومراتبه: ١٠٥
حد الإيمان وحكم مرتكب الكبيرة: ١١٢
اعتقاد أهل السنة والجماعة في الصحابة وآل البيت: ١١٦
الإيمان بكرامات أولياء اللَّه الصالحين المتقين: ١٢٤
من صفات أهل السُّنَّة التحلي بمكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال: ١٢٨
فهرس الموضوعات: ١٣٣